

obeikandi.com

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قِيمًا
لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مَن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا. ﴿الكهف: ٢٠١﴾ وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد الذي أنزل
عليه الفرقان، ليكون للعالمين نذيراً، ورضى الله - تبارك وتعالى - على
المؤمنين به، السائرين على هديه. وبعد:

دعا الإسلام إلى التفكير والتأمل في ملك الله، وفي نفسه وفيما وراءه،
ووراء الطبيعة والتدبير والعلم والمعرفة. قال تعالى: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " ﴿الزمر: ٩﴾ وقد رغبت
الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الحكماء المسلمين في طلب العلم،
لذلك أقبل المسلمون على طلب العلم وتحصيل المعرفة بشغف شديد،
وواصلوا العمل به والتأليف حتى أضافوا إلى عالم الفكر إضافات عظيمة،
وتركوا لنا تراثاً فكرياً ثرياً يُعدُّ أجل ما خلفته لنا الحضارات الإنسانية .

ولم تكن رسالة الإسلام عبادة فحسب، بل شملت حاجات الحياة الدنيا
من سلوك شخصي وتصرف اجتماعي وتسام إلى مزايا طيبة من أمر بمعروف
ونهى عن منكر وحث على التعلم، لذلك كانت الرسالة السماوية مدعاة
لبزوغ شمس العلم، ولم يقتصر الاهتمام بكتاب الله وسنة سيدنا محمد ﷺ
فقط، بل حصلت العناية بعدد كبير من العلوم والمعارف التي لها علاقة
مباشرة أو غير مباشرة بالتفقه في الدين. فأما ما يتعلق بالدين من علوم فقد
أشار الإمام الشافعي حين بسين فضل تعلم الأصول بقوله: " من تعلم القرآن
عظمت قيمته، ومن تعلم الفقه نبيل مقداره، ومن كتب الحديث قويت حجته،
ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن لم يصن نفسه
لم ينفعه علمه " .

إن أهمية تراثنا العلمى والفكرى وضرورة المحافظة عليه، والحاجة الملحة إلى إحيائها والتعريف به وإبرازه، يعد الحافز العام إلى طرق هذا الميدان فى الدراسات الحضارية الإسلامية، كما أن الوعى بالتراث الفكرى والثقافى وإبراز النظام التعليمى والاهتمام به، وإنشاء المدارس ومراكز العلم المختلفة والاهتمام بالعلماء والعلوم هو الأساس الذى تبنى عليه حضارات الأمم، وقد أسهم إقليم الصغد بحظ وافر فى هذا الميدان، وأضاف المسلمون فى مدن الصغد إلى الحضارة الإنسانية إضافات كثيرة، ولم يتركوا علما إلا وتناولوه بالبحث والدراسة: العلوم العربية والدينية والعلوم العلمية، وصنفوا المجلدات فى فروع العلم المختلفة وترك المسلمون للبشرية تراثا كبيرا ضخما ملاً مكتبات العالم.

وكان من أهم الحوافز التى دفعتنى إلى اختيار هذا الموضوع (الحياة الثقافية فى إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولى) هو توثيق صلة رجال العلم العرب المعاصرين بتراثهم القديم، والرغبة فى دراسة وإزاحة الغموض فيما انقطع من دراسة هذا الجانب الهام من جوانب الحضارة الإسلامية فى هذا العصر من تاريخ الأمة الإسلامية المجيد والذى لم يجد الاهتمام المطلوب من جمهور الباحثين والدارسين بسبب اللبس وعدم توفر المعلومات الأكيدة لتاريخ وأوضاع هذا الإقليم.

وموضوع هذا البحث يدور حول " الحياة الثقافية فى إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولى " وتحديد مسارها من خلال تأثيرها وتأثرها بالأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية، نتيجة العلاقة بينهما، التى تركت آثارا واضحة فى مجرى الحياة الثقافية، والمتمثلة فى ظهور العديد من العلماء الأجلاء فى الدراسات الأساسية، والدراسات الإنسانية والتطبيقية، ونشاطهم العلمى المتمثل فيما خلفوه من تراث علمى كبير يزين دور الكتب العالمية، فاق كل ما كتب بأى لسان آخر. وانتظم هذا البحث فى تمهيد وأربعة فصول .

اختص التمهيد باستعراض شامل لجغرافية إقليم الصغد، بالإضافة إلى الحالة السياسية لإقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولي.

أما الفصل الأول فقد أفرد للحديث عن ازدهار الحياة الثقافية والمؤسسات التعليمية، وقد قُسم إلى مبحثين: استعراض المبحث الأول عوامل تقدم الحياة الثقافية من خلال تناول: اهتمام أهل إقليم الصغد بالعلم، تشجيع الحكام للعلم والعلماء، مكانة العلماء في المجتمع الصغد، الرحلة في طلب العلم، الإجازات العلمية، أدوات الكتابة وحوانيت الوراقين.

أما المبحث الثاني فقد اختص بالحديث عن المؤسسات التعليمية في مدن الصغد من خلال استعراض: الكتاتيب، المساجد، المدارس، الربط والخانقاوات، فضلا عن المكتبات.

أما الفصل الثاني فقد خُصص لدراسة مظاهر تطور العلوم الأساسية في مدن الصغد من خلال الحديث عن: علم القراءات، علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه، علم التصوف.

والفصل الثالث تناول دراسة العلوم الإنسانية والتطبيقية وقُسم إلى مبحثين: اختص المبحث الأول بدراسة علوم اللغة والنحو والأدب، وعلوم التاريخ والجغرافية والكلام والفلسفة بينما تناول المبحث الثاني دراسة علم الفلك، علم الرياضيات، علم الطب، علم الصيدلة، علم النبات، علم الكيمياء.

أما الفصل الرابع فقد خصص لدراسة الفنون والآثار والموسيقى في مدن الصغد خلال فترة الدراسة والتمثلة في: المنسوجات، السجاد، التحف التطبيقية، التحف المعدنية، الزخرفة الإسلامية، العمارة، النقود ودور الضرب، والموسيقى.

والفصل الخامس فقد أفرد للحديث عن التأثير والتأثر في الحياة الثقافية

فى إقليم الصغد. واختتم البحث بدراسة موجزة عن أهم النتائج التى
توصلت إليها، ثم ذيلت هذه الدراسة بمكتبة البحث، والملاحق من خرائط
وصور ساهمت فى إبراز معالم هذا البحث.

واسأل الله أن يأخذ بأيدي العاملين على خدمة أمتهم وتراثها إلى ما هو
خير العرب وصالحهم وخير الإنسان وصلاحه، ومنه أطلب الرحمة والغفران
إن زللت دون قصد، وهو العليم بما نسر ونعلن، وهو خير مجز حكيم، عليه
توكلت ومنه أطلب الهدى والتوفيق.

هذا وقد بذلت قصارى جهدى فى هذا البحث وانى لأرجو أن أكون قد
وفقت فيه، وان بدا خلل أو تقصير فعذرى انه سمة أعمال البشر وأرجو ألا
أحرم أجر المجتهد آمله أن أكون قد وفقت فى هذا البحث الذى تناولت فيه
بالشرح والتفصيل " الحياة الثقافية فى إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية
حتى الغزو المغولى " كما أرجو أن أكون بجهدى المتواضع قد أسهمت فى
إفادة المكتبة التاريخية الإسلامية الفائدة المرجوة.

وفى ختام هذه المقدمة أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذى
العالم الجليل الذى تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، الأستاذ الدكتور /
محمود عرفة محمود أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة
الذى شملنى بعطفه وأعطانى الكثير من وقته ولم يبخل على بفيض علمه
الغزير، وشرفت بإشرافه وأفدت من توجيهات سيادته، فجزاه الله عنى وعن
طلابه خير الجزاء.

كما أقدم بعظيم الشكر والتقدير إلى المؤرخين الجليلين عضوى لجنة
المناقشة على تفضلهما بالموافقة على الاشتراك فى هذه اللجنة الموقرة والقيام
بمهمة فحص الرسالة ومناقشتها، مدفوعين بالرغبة الصادقة فى العمل على
تقدم الدراسات التاريخية فى فرع التاريخ الإسلامى.

أ.د/ عصام الدين عبد الرؤوف الفقى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة القاهرة .

أ.د/ بدر عبد الرحمن محمد أستاذ التاريخ الإسلامى كلية الآداب
جامعة بنها .

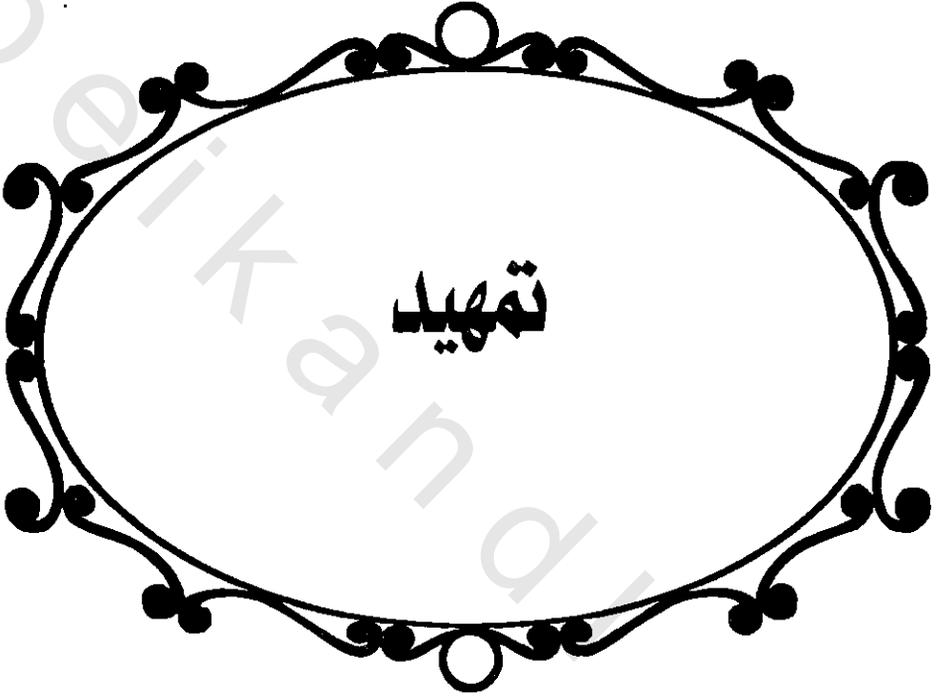
كما أتوجه بالشكر إلى أساتذتى فى فرع التاريخ الإسلامى على
تشجيعهم المستمر لى .

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم فى إخراج هذا العمل، أساتذة
وزملاء جزاهم الله خيرا

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفققت فى عرض هذا الموضوع وأن يجعله
فى صالح أعمالى والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

obeikandi.com



obeikandi.com

خطط إقليم الصغد

موقع إقليم الصغد (١)

الصغد بضم الصاد المهملة وسكون الغين، ويقال أيضا بالسجين، ناحية كثيرة المياه، نضرة الأشجار مؤنقة الرياض والأزهار ملتفة الأغصان تمتد مسيرة خمسة أيام، لا تقع الشمس على كثير من أراضيها، ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة من سمرقند إلى قريب من بخارى (٢)، وعاصمتها سمرقند (٣) التي تقع على بعد ١٥٠ ميلا شرقي بخارى (٤).

(١) ذهب البعض إلى أن (إقليم) كلمة عربية، وسمى بذلك لأنه مقلوم من الأرض التي تتاخمه أى مقطوع، والقلم فى أصل اللغة القطع، ولكن يغلب الظن أن كلمة إقليم محرقة عن الكلمة اليونانية Klima التي تعنى تقسيم سطح الأرض إلى مناطق وفقا لطول النهار فى كل منطقة، ومن هنا أخذوا كلمة Klima ونقلها عنهم العرب. محمد محمود محمدين: التراث الجغرافى الإسلامى، ط٢، الرياض، ١٩٨٤، ص١١٤، ١١٣.

(٢) صفى الدين البغدادى: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والباقاع، تحقيق على محمد البجاوى، مج٢، دار الجبل، بيروت، ص٧١٧، ٧١٦. القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ص٥٤٣. النرشخى: تاريخ بخارى، ترجمة وتحقيق أمين عبد المجيد بدوى، ونصر الله مبشر الطرازى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص١٩. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ط٢، بيروت، ١٩٩٥، ص٢٢٢. اليمانى: إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين، تحقيق عبد المجيد دياب، السعودية، ١٩٨٦، ص١١٣.

(٣) Albin Michel, Dictionnaire de l' Islam Religion et Civilisation Encyclopedia Universalis, Paris, 1997, p759. Bretschneider, Medieval Researches from Eastern Asiatic Sources, vol.2, London, 1937, p58. Vogelsang, The Rise and Organisation of the Achaemenid Empire, vol.3, New York, 1992, p73.

(٤) السمعانى: الأنساب، تعليق عبد الله عمر البارودى، جد٤، دار الجتآن، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٨٤. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، ١٩٥٤، ص٥٠٦.

يشمل إقليم الصغد الأراضى الخصبة فيما بين نهري جيحون^(١) وسيحون^(٢) التى تسقيها مياه نهري^(٣) هما زرافشان أى نهر الصغد^(٤) وعليه

(١) نهر جيحون اسم أعجمى وقيل إن أصله بالفارسية حرون، وهو اسم وادى خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان، فنسبه الناس إليها وقالوا جيحون على عادتهم فى قلب الألفاظ. وعرف نهر جيحون باسم Oxus أو كسوس لدى الفرنجة، كما يسمى الآن آموداريا أى نهر آمو* وعموده نهر خرياب، ويخرج من بلاد وخان فى حدود بدخشان فتجتمع إليه أنهار فى حدود الختل والوخش فيصير منها هذا النهر العظيم إلى أعلى حدود بلخ ثم ينعطف إلى ناحية الشمال إلى أن يصير إلى ترمذ ثم منها إلى زم ثم إلى امل ثم إلى خوارزم* ويبلغ طوله ١١٥٠ ميلا، وتبلغ مساحة حوضه نحو ٢٢١ ألف متر مربع***.

* النرشخى: تاريخ بخارى، ص ٢٧.

** ابن حوقل: صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٧٣م، ص ٣٩٣ ابن خرداذبه: المسالك والممالك، بغداد، ص ١٧٣. ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩١، ص ٩١.

القزوينى: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، دار التحرير، ص ١٣٩.

*** أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى، ج١، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٦٦٦.

(٢) نهر سيحون اسم أطلقه العرب على نهر جكزرتس Jaxartes على أن اسم النهر الأكثر شيوعا عند العرب كان نهر الشاش وذلك لوقوع هذه المدينة بالقرب من ضفافه* وهو وراء نهر جيحون فيما يلى بلاد الترك، وبينهما مسافة خمسة وعشرين يوما* وهو الآن سيرداريا***.

* محمود شيت خطاب: بلاد ما وراء النهر، مجلة المجمع العلمى العراقى، ج٤، مج ٣٣، ١٩٨٢، ص ١٢٥

** ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ج٥، دار الثقافة. بيروت، ص ٦٨.

*** أمين واصف: الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٤، ص ٢٦.

(٣) مايل مروى: جغرافياى حافظ ابرو قسمت ربع خراسان، إيران، ١٣٤٩هـ، ص ٥٣.

Dietrich Brandenburg, Samarkand Studien zur Islamischen Baukunst in Uzbekistan, Germany, 1972, p9.

(٤) نهر الصغد أو زرفشان (ناشر الذهب) على ما يسمى به اليوم، ينبع من الجبل الأوسط من جبال البتم ويجرى حتى يمر بسمرقند ثم إلى بخارى فإذا تجاوزها تفرق فى أرضها على-

كانت تقوم سمرقند، ويحف به قصور وبساتين وقرى مشتبكة العمائر ما مقداره اثنا عشر فرسخاً^(١) في مثلها^(٢) والنهر المنساب حيال مدينتي كش

=المزارع والبساتين، ويسقط ما فضل منه في مجمع كالبحيرة قريبا من بيكند إحدى مدن بخارى* ووادي الصغد مبدأه من جبال البتم على ظهر الصغانيان، وله مجمع ماء يعرف بجن مثل بحيرة حولها القرى، وتعرف الناحية ببرغر فينصب منها بين جبالها الماء حتى ينتهي إلى بنجيكت، ثم ينتهي إلى مكان يعرف بورغسر وتفسيره رأس السكر، ومنه تتشعب أنهار سمرقند ورستاق تتصل بها من غربي الوادي من جانب سمرقند***. ومن بداية هذا الوادي إلى أن ينتهي إلى سمرقند زيادة على عشرين فرسخا وإذا جاوز سمرقند بنحو مرحلتين أنشعب منه نهر يعرف بفي، وليس بالصغد أوفر عمارة منه وهو ثلث الصغد، وينشعب من في أنهار كثيرة، ثم ينشعب من وادي الصغد أنهار كثيرة على امتداده تجاه كل مدينة وبلدة ورستاق نهر حتى ينتهي من حد اربنجن إلى كرمينية وإلى حد بخارى، ومنها أنهار اربنجن وأنهار الدبوسية وأنهار كرمينية إلى أن ينتهي إلى بخارى. أما شرقي هذا الوادي فتشعب الأنهار منه بحذاء سمرقند ومنها نهر كينجكت وأنهار أخرى لتلك القرى***.

* شيخ الربوة الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة ليبزج، ١٩٢٣م، ص ٢٢٣.

Pierre Chuvin, Samarkand, Bukhara, Khiva, 2002, p27.

** ابن حوقل: المصدر نفسه، ص ٤٠٨.

*** ابن حوقل: المصدر نفسه، ص ٤٠٩. صفى الدين البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص ١٥٨.

(١) الفرسخ فارسي معرب أصله فرسك، وقال اللغويون الفرسخ عربي محض يعادل ثلاثة أميال = ١٢٠٠٠ ذراعا = ٥٥٤٤ مترا. البيهقي: معدن النوادر في معرفة الجواهر، تحقيق محمد عيسى صالحية، دار العروبة، الكويت، ١٩٨٥، ص ٥٣. زين العابدين شمس الدين نجم: معجم الالفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٤٠٢. نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، ط ٣، بيروت، ١٩٨٢، ص ٦٣.

(٢) شيخ الربوة الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ١٧٨.

ونسف^(١). ومع ذلك فإنه لمن الأوجه أن يعد الصغد اسماً للرساتيق المحيطة بسمرقند^(٢).

يقع إقليم الصغد في وسط مملكة ما وراء النهر^(٣) يحده من الشمال بلاد صغانيان^(٤). وكش^(٥)، ونسف^(٦)، ومن الشمال الغربي خوارزم^(٧)، ومن

(١) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٣. دونالد هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا، الكويت، ٢٠٠٤م، ص ٢٣١.

(٢) إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري: الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى، الأردن، ١٩٩٩، ص ٢٧. دونالد هيل: المرجع نفسه، ص ٢٣١. لسترنج: المرجع نفسه، ص ٥٠٣.

(٣) بلاد ما وراء النهر هو الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة الواقعة في حوض نهري اموداريا (جيحون) وسيرداريا (سيحون)* وهو من أخصب أقاليم الدولة الإسلامية، وكانت هذه البلاد تسمى قديماً بلاد الهياطلة أو توران أو تركستان**. ويتقسم إلى خمسة أقسام: الصغد، وخوارزم، وصغانيان، وفرغانة، الشاش***.

* أمين واصف: الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، ص ٢٦. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، الكويت، ١٩٨١م، ص ١٤٥.

** إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري: المرجع نفسه، ص ٢٦.

*** محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٨٥.

(٤) صغانيان: أحد أقاليم ما وراء النهر شديد العمار. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٣، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

(٥) كش: قرية بما وراء النهر على ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل. ياقوت الحموي. المصدر نفسه، مج ٤، ص ٤٦٢.

(٦) نسف: مدينة كبيرة والرسناق بين جيحون وسمرقند، وهي على مدرج بخارى وبلغ وهي في مستواه، والجبال منها على مرحلتين فيما يلي كش. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج ٥، ص ٢٨٥.

(٧) خوارزم: أحد أقاليم ما وراء النهر، وقصبتها الجرجانية، وهي ثمانون فرسخاً في ثمانين فرسخاً. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج ٢، ص ٣٩٥، ٣٩٧.

الجنوب طخارستان^(١) ومن الشرق خجند^(٢)، ومن الغرب بخارى^(٣). ومن الجنوب الغربي خراسان^(٤) يفصل بينهما نهر جيحون^(٥) ومساحته ستة وثلاثون فرسخا فى ستة وأربعين فرسخا أى ما يعادل ١٦٥٦ فرسخا مربعا^(٦). والصغد أحد متزهات الدنيا الأربعة التى هى: غوطة دمشق ونهر الأبله، وشعب بوان، وسغد سمرقند. وهو أنزه الأربعة لأنه ممتد نحو خمسة أيام مشتبك الخضرة والبساتين، لا ينقطع ذلك فى موضع منه، حيث حفت تلك البساتين بالأنهار الدائم جريها، ومن وراء الخضرة من الجانبين مزارع^(٧).

(١) طخارستان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، من نواحي خراسان وهى تنقسم إلى طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقى بلخ. أما السفلى فهى غربى جيحون إلا أنها أبعد من بلخ. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٤، ص ٢٣.

(٢) خجند: بلدة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا، وفى وسطها نهر جار، والجبل متصل بها. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ص ٣٤٧.

(٣) بخارى: من أجل مدن ما وراء النهر، بينها وبين جيحون يومان، طولها سبع وثمانون درجة، وعرضها إحدى وأربعون درجة. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ١، ص ٣٥٣.

(٤) خراسان: "خر" اسم للشمس بالفارسية الدرية و"اسان" أصل الشىء ومكانه. وقيل معناه كل سهل لأن معنى "خر" كل و"اسان" سهل. وهى بلاد واسعة تشتمل على أمهات من البلاد، منها: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٢، ص ٣٥٠.

(٥) شيخ الربوة الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص ١٧٨. جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج ٢، ط ٢، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٣٩٧. على عبد السلام سيد أحمد: حركات المد العربى إلى بلاد ما وراء النهر خلال العصر الأموى، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد ١٤، ١٩٩٦، ص ١٦٥.

(٦) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٤٤. إحسان ذنون عبد اللطيف الشامى: الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى، ص ٢٧.

(٧) القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ص ٤٣٣=

سمرقند قصبة الصغد (١)

تقع سمرقند جنوب وادي الصغد مرتفعة عليه^(٢) وبالتحديد على بعد ٧ كم جنوب الوادي^(٣). حيث الطول ٩١ درجة و ٥٢ دقيقة، والعرض

=اليماني: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ص ٩٩. على أكبر دهخدا: لغت نامه، زير نظر محمد معين، مج ٢٩، تهران، ١٣٤٥، ص ٦٢٥. ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد علي أبي درة، ج ٢، مج ٤، دار الجليل، بيروت تونس، ص ١٠٧.

(١) سمرقند كلمة مركبة من 'سمر' و'قند' والمقطع الأخير هو كلمة فارسية معناها المدينة، والمقطع الأول وحده لم يتفق على معناه، على أن كلمة سمر بالتركية تفيد ما يوضع على ظهر الدابة من بردعة وما إليها لربط الأثقال والأحمال، فعلى ذلك يكون المقصود بكلمة سمرقند المدينة العالية لكونها مرتفعة على وادي الصغد كبردعة الدابة. أبو الليث السمرقندي: خزانة الفقه وعيون المسالك، تحقيق صلاح الدين الناهي، مج ١، بغداد، ١٩٦٥م، ص ١٠.

(٢) ابن سعيد المغربي: سبط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان فرنيط خينيس، مطبعة كريمادس، المغرب، ١٩٥٨، ص ١٠٧. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، تحقيق عيد علي مهنا = وميرجابر، ج ١، ط ٢، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٩٩٢، ص ١٠٤. على بهجت: قاموس الأمكنة والبقاع التي ترد في كتب الفتوح، القاهرة، ١٩٠٦، ص ١٢٩.

(٣) الترشيحي: تاريخ بخارى، ص ١٩، ١٨. وتقع مدينة سمرقند الآن في جمهورية أوزبكستان*. واوزبكستان، بمعنى أرض الأزيك وهي كلمة فارسية من شقين: أزيك وتعنى سيد نفسه، وستان بمعنى الأرض. وكانت سمرقند عاصمة أوزبكستان عندما استولى عليها الروس (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م) غير أنه بعد سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م) أصبحت العاصمة هي طشقند ولم تعد سمرقند أكثر من متحف للفن والعمارة**. وتعد أوزبكستان إحدى خمس جمهوريات إسلامية، هي: قازاقستان في شمالها، وقيرغستان في جنوبها الشرقي، وطاجيكستان وأفغانستان في جنوبها، وتركمنستان في غربها وتخلصت أوزبكستان في سبتمبر (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) من سيطرة الاتحاد السوفيتي بعد مدة تزيد على ٧٠ عاما***.

٣٦ درجة و ٣٠ دقيقة^(١) أما عن مساحة سمرقند، فكانت أرباض المدينة بما فى ذلك المدينة نفسها تشغل مساحة مقدارها ستة آلاف جريب، والمدينة تشغل خمسة آلاف جريب^(٢)، بينما شغلت المدينة الداخلة (الشهرستان) ألفين وخمسمائة جريب^(٣).

كان أقدم وصف لمدينة سمرقند الإسلامية وفقا للمصادر الجغرافية هو أن

*Edward Lazzeri, Sengupta, The Formation of the Uzbek state, Journal of Asian History, vol.39, no.1, 2005, p93. Timur Dadabaev, Post-Soviet Realities of Society in Uzbekistan, Central Asian Survey, vol.23, no.2, 2004, p148.

** إبراهيم إبراهيم عامر: العمارة فى سمرقند فى العهد التيمورى، ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى، ١٩٩٨، ص ١١٩،

James Bate, Russia and the Post Soviet Scene, London, New York, 1996, p26. Keith Mclachlan, The Boundaries of Modern Iran, New York, 1994, p14.

*** إبراهيم إبراهيم عامر: المرجع نفسه، ص ١١٩. أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى: الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٤٧. محمد عبد القادر أحمد: الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى بين الماضى والحاضر، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢١٠.

(١) ابن سعيد المغربى: سبط الأرض فى الطول والعرض، ص ١٠٧.
(٢) الجريب شأنه شأن مقاييس الطول والوزن. كان يختلف من قطر لآخر. والجريب عادة يساوى ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مربعة*. والذراع تساوى ٨.٥١ ستمترا أى أنه أكثر من نصف المتر بقليل، ولهذا فإن الجريب يجب أن يكون أكثر من تسعمائة متر مربع بقليل**.

* الخوارزمى: مفاتيح العلوم، تحقيق فان فلوتن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤، ص ٦٦.

** بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ١٧١.
(٣) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٧. مرتضى راوندى: تاريخ اجتماعى إيران، جلد بنجم، جاب سوم، تهران، ١٣٧٢، ص ٢٥٩.

سمرقند وضواحيها كان يحيط بها سور طوله اثنا عشر فرسخا وبه اثنا عشر بابا، بين كل بابين فرسخ، وهي من حديد. وداخلها مدينة أخرى لها أربعة أبواب^(١) ولها قهندز " القلعة القديمة"^(٢) وأرباض وأسواق كبار. وفيها ما فى المدن العظام من المحال والحمامات والخانات والمساكن، ولها مياه جارية تدخل إليها فى نهر بعضه رصاص معلق^(٣). هذا وأولى الجغرافيون اهتماما خاصا لوصف الشهرستان الذى به المسجد الجامع والقلعة وقصر الإمارة^(٤). فكان له أربعة أبواب، من ناحية الشرق يقوم باب الصين على مرتفع من الأرض، ومن ناحية الغرب يوجد باب النوبهار أو باب الحديد، وإلى الشمال باب بخارى، وإلى الجنوب باب كش أو الباب الكبير^(٥).

(١) صفى الدين البغدادى: مراصد الاطلاع، ص٧٣٦. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٧. مرتضى راوندى: تاريخ اجتماعى إيران، جلد بنجم، ص٢٥٩.

Barthold, An Historical Geography of Iran, translated by Svat Soucek , New Jersey, 1984, p16

(٢) مجهول المؤلف: تاريخ سيستان، تصحيح ملك الشعراء بهار وبهت محمد رمضانى، طهران، ١٩٣٥م، ص٢١٧.

(٣) الاصطخرى: المسالك والممالك، دار القلم، ١٩٦١م، ص١٧٧. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٠٦، ٤٠٥. القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣٦.

Barthold, OP Cit,p50. Edgar Knobloch, Monuments of Central Asia A Guide to the Archaeology art and Architecture of Turkestan. London, 2001, p117. Var Javand with Keeler, Cities, The splendour of Iran, Islamic Period, vol.2, London, 2001, p85.

(٤) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص١٧١.

(٥) الاصطخرى: المصدر نفسه، ص١٧٧. ابن الفقيه: كتاب البلدان، مطبعة بريل، ١٨٩١م، ص٣٢٢

Dietrich Brandenburg, Samarkand, p16.

ويبدو أن سور الشهرستان تم تشييده في الفترة السابقة للإسلام، ولزم لتشيدته كمية هائلة من الطين حتى نشأ من ذلك خندق كبير؛ ولإيصال الماء عبر هذا الخندق بنيت مسناة عالية من الحجر يجرى عليها الماء من موضع الصفارين، وكان الماء يدخل المدينة^(١) عند موضع يعرف برأس الطاق، كانت توجد به الأسواق الرئيسية ويتجمع فيه معظم سكان المدينة^(٢). وكانت مدينة سمرقند تسمى قديماً مرقندا^(٣) وتسمى أيضاً في بعض الكتب العربية "سمران"^(٤) وزعم البعض أن اسم سمرقند يرجع إلى شمر بن أفريقيس^(٥)

(١) أبو الفدا: تقويم البلدان، طبعة باريس، ١٨٤٠، ص ٤٩٣. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، تحقيق محمد عجاج الخطيب ومصطفى مسلم، ج ٣، الإمارات، ٢٠٠٤م، ص ١٦٤.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٠٧. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج ٣، ص ١٦٤. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص ١٧٣، ١٧٢. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٧.

(٣) أمين واصف: الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، ص ٥٨. إيرين فرانك: طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م، ص ٤٠. على أكبر دهخدا: لغت نامه، ص ٦٢٥.

Monuments of Central Asia, P74. Edgar Knobloch, Turkestan, Taschk- Edgar Knobloch, ent, Buchara, Samarkand, Ansbach, London, 1973, p145. Vogelsang, The Rise and Organisation of the Achaemenid Empire, p287.

(٤) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، مج ٥، ج ١، ١٩٧٠، ص ٢١٢. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ١، ص ١٠٤. أمين واصف: المرجع نفسه، ص ٥٨.

(٥) شمر يرعش بن أفريقيس بن أبرهة بن الحارث الحميري (دولة حمير حكمت من سنة ١٧٥: ٥٢٩م) غزا شمر يرعش من اليمن في جنود كثيرة حتى دخل أرض بابل وتوجه يريد الصين، وافتتح المدائن والحصون ودخل الصغد في القرن الرابع الميلادي فهدمها=

الذى هدمها فسميت شمركند، فعربته العرب فقالوا سمرقند. ويناها بعده تبع الأقرن^(١) وزعموا أيضا أن على بابها الكبير صفيحة من حديد عليها كتابة زعم أهلها أنها بالحميرية ومن صنعة تبع^(٢). وبعض الكتابة: " أن من صنعاء إلى سمرقند ألف فرسخ"^(٣) وإلى ذلك أشار دعبل الخزاعى فى قوله من قصيدته التى افتخر فيها على الكميت:

=فسميت سمرڪند بلغة العجم أى شمر أخريها، فعربتها العرب. وقيل هو أول من أمر بيناتها فسميت به، وكتب على بابها بالحميرية فى صخرة مبنى عليها سورها " هذا ملك عرب لا عجم، شمر يرعش الملك الأشم، فمن بلغ هذا المكان فهو مثلى ومن جاوزه فهو أفضل منى " الحميرى: الروض العطار فى خبر الأقطار، بيروت، ١٩٧٥، ص ٣٢٢. نشوان بن سعيد الحميرى: ملوك حمير واقبال اليمن، تحقيق السيد على بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل ابن أحمد الجرافى، القاهرة، ١٣٧٨، ص ٩٤، ٩٣. القسى: شرح مقامات الحريرى، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، مج ٢، ص ٣٣١. محمد غنيم: خلاصة الكلام فى تاريخ الجاهلية والإسلام، ج١، القاهرة، ١٣١٦، ص ٧٤.

(١) الأصفهاني: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، بيروت، ١٩٦١، ص ١٠٨. البكرى الأندلسى: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، ج٣، ط ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣، ص ٧٥٥. القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٣٦، ٥٣٥. مستوفى قزوينى: نزهة القلوب، المقالة الثالثة در صفت بلدان وولايات وبقاع، مطبعة بريل، ليدن، ١٩١٣، ص ٢٤٥. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ص ١٠.

Philby, The Background of Islam, Alexandria, 1947, p132.

(٢) ومن الجدير بالذكر أن الباب الذى كانت عليه الصفيحة احترق، ثم أعاده بعد ذلك أبو المظفر محمد ابن لقمان بن نصر بن أحمد السامانى حديثا، كما كان من حديد وتغيرت الصفيحة. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص ١٦٥. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٣٦.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، تقديم خليل شرف الدين، ج٦، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٩٦.

وهم كتبوا الكتاب بذات مرو وباب الصين كانوا الكاتبين
وسمى سمرقند بشمرقند وهم غرسوا هناك الثابتين^(١)

كشفت الحفريات أن أولى المستوطنات فى أراضى سمرقند المعاصرة
ظهرت فى بداية القرن(٧ق.م) فى سفوح تلال افراسياب^(٢)، وما لبثت هذه
المستوطنة الصغيرة بحلول منتصف الألف الأولى قبل الميلاد أن أصبحت مدينة
بأسوار محصنة قوية، ومعابد أثرية وعدد غفير من الصناعات الحرفيين. وفى
تلك الأيام كانت المدينة تحت سيطرة الحكام الإيرانيين من سلالة الاخمينيين.
وسرعان ما غزت قوات الإسكندر الأكبر مدينة سمرقند سنة(٣٢٩ق.م)،
وبعد الإسكندر رضخت المدينة لحكم دولة الإغريق^(٣).

لم تلبث سمرقند أن فتحت صفحة جديدة من تاريخها خلال القرنين
(٣، ٢/٥٢، ٨، ٩م) عندما وصلت إليها الفتوحات الإسلامية، وحاصرها والى
خراسان سعيد بن عثمان^(٤) وفتحها قتيبة بن مسلم الباهلى فى عهد الوليد بن

(١) شيخ الربوة الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص٢٥٤. المقرئى: السلوك
لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،
ج١، ١٩٩٧، ص٣٢٣. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص١٠.
(٢) تقع تلال افراسياب شمال شرق حافة سمرقند.

Ludmila Sokolovskaia and Axelle Rougeulle, Stratified Finds of Chinese Porcelains
from pre-Mongol Samarkand ,Afrasiab,Bulletin of the Asia Institute,
vol.6,1992,P87.Shishkina, Ancient Samarkand, Capital of Soghd, Bulletin of the
Asia Institute, vol.8, 1994, p81

(٣) فيتالى نومكين: سمرقند، ترجمة صلاح صلاح، الإمارات أبو ظبى، ص١٣، ١٤.

Gutty A Zarpay, Sogdian Painting, U.S.A,1981, P3.John Lawton, Travel to Landmarks
Samarkand and Bukhara, London, 1991, p41.

(٤) البلاذرى: فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد رضوان، المطبعة المصرية، ١٩٣٢، ص١-٤.
الكرديزى: زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٧٣.

Frye, The Golden Age of Persia, London, 1977,p76

عبد الملك (٩٤هـ / ٧١٢م) وبنى بها مسجداً^(١). ومنذ ذلك الوقت، أصبحت ثقافة المدينة وغطت حياتها وحتى مظهرها جزءاً من العالم الإسلامي^(٢). وسرعان ما وصلت سمرقند إلى أعلى مدارج الإعمار والازدهار في عهد السامانيين، وبقيت على هذه الحال في عهد السلاجقة والخوارزميين^(٣) واتخذها محمد خوارزمشاه عاصمة لدولته^(٤).

شبهها الحصين بن المنذر الرقاشي فقال كأنها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للاشراف ونهرها المجرة للاعتراض وسورها الشمس للاطباق^(٥). ومن شدة افتتان العرب بسمرقند وصفها أبو الفتح البستي (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) فقال:

(١) البغدادي: خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق محمد نبيل طريف، ج٩، بيروت، ١٩٩٨، ص٨٦. البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١٠. ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص٢٩٣. الصنعاني: مسالك الابصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الاكوع الجوالي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٨٤، ١٨٣. الكاشي: مفتاح الحساب، تحقيق أحمد سعيد الدمرداش ومحمد حمدي الحفني، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٣.

Travel to Landmarks Samarkand The Golden Age of Persia, p81. John Lawton , Frye, and Bukhara, p25.

(٢) فيتالي نومكين: سمرقند، ص١٤.
(٣) الثعالبي: تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، طهران، ١٩٦٣، ص٤١٤. الترشيحي: تاريخ بخارى، ص١٩. علي أكبر دهخدا: لغت نامه، مع٢٩، ص٦٢٥.

Wilfrid Blunt, The Golden Road to Samarkand, p11

(٤) خواندمير: تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، ج١، جلد ٣، ١٣٣٣هـ، ص٣٠.
(٥) الثعالبي: لطائف المعارف، القاهرة، ١٩٦١، ص٢١٧. ابن الفقيه الهمداني: كتاب البلدان، ص٣٣٧. مستوفي قزويني: نزهة القلوب، المقالة الثالثة در صفت بلدان وولايات وبقاع، ص٢٤٥.

الناس فى أخراهم جنة وجنة الدنيا سمرقند
يا من يساوى أرض بلخ بها هل يستوى الخنظل والقند^(١)

بينما يرجع سبب الخراب الوقتى الذى حل بسمرقند إلى المغول، الذين
خربوا البلد ودمروها سنة(٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)^(٢) حتى أن ابن بطوطة لما زارها
فى المائة التالية لذلك الزمن، قال فيها: " لا سور لها ولا أبواب عليها، وأكثر
دورها خراب والقليل منها أهل " ومع ذلك استعادت سمرقند مجدها السابق
بعد قليل، وذلك فى ختام المائة الثامنة حين اتخذها تيمور عاصمة له فجدد
البلد وشيد المساجد^(٣).

أما بالنسبة لرساتيق سمرقند فكانت جملها فى شرقها وجنوبها، وبعضها
فى شمال نهر السغد، وكلها خصبة وافرة الخيرات، فعلى تسعة فراسخ من
شرق سمرقند مدينة بنجيكت (ما زالت قائمة حتى اليوم باسم بنجكند)، وبها
منبر وهى عامرة حسنة البقعة، ولها رستاق كبير ينسب إليها. وبين هذه المدينة
وسمرقند مدينة ورغسر، وهى مدينة صغيرة كثيرة المتزهات غزيرة الفواكه
ولها رستاق يخرج إليها خليج من نهر سمرقند فيسقى جميع مزارعه وغلاته،
وبينه وبين سمرقند أربعة فراسخ^(٤).

(١) الجوينى: تاريخ جهانكشاي، ترجمة محمد التونجى، مج ١، دار الملاح للطباعة، ١٩٨٥،
ص ١٢٥.

(٢) Survey of Per- Bietrich Brandendenburg ,Samarkand, p7.Pope, Phyllis Ackerna, A
sian Art,vol.1,c2, Oxford, London,1967,p91.

(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحقيق طلال حرب، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٩٩٢م، ص ٣٩١. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٨.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق مج ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩،
ص ٥٠٢. محمود شيت خطاب: بلاد ما وراء النهر، ط ٤، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٩٦،
٩٧.

وفى الناحية الجنوبية رستاق مايمرغ فيه قرية ريودد على فرسخ من سمرقند، ويجاوره رستاق سنجرغفن. وليس فى جميع الرساتيق أكثر أشجارا وخيرات منه. وإلى جنوبه، الرستاق الجبلى المعروف بجبال الساودار، وهو أصبح رساتيق الإقليم هواء، وكانت الأودية التى فى هذه الجبال فى غاية الخصب، وعلى أنهارها تنبت القرى. ورستاق الدرغم أزكى الرساتيق وأكثرهن مراعى ومياه. وعلى حده كان رستاق أوفر أو أبغر وهو رستاق عامته مباحس، كثير القرى، أهله أصحاب مواش، قطره نحو فرسخين. وهذا الرستاق هو آخر الرساتيق فى جنوب سمرقند والنهر^(١).

أما محال "أحياء" سمرقند فأشهرها محلة اسفزار بالشهرستان وكان به قصر للسامانيين^(٢) ومحلة جاكرديزه^(٣) كانت بها مقبرة كبيرة مشهورة للعلماء والكبار، وهذه المقبرة لا تزال قائمة وتقع فى القسم الشرقى من المدينة الحالية^(٤) ومحلة غانفر^(٥) ومحلة غرجمين (اوكرجمين) وكان بها قصر لطمغاج خان بن الحسين^(٦) ومحلة ماتريد أو ماتريت بالربض ومكانه الآن قرية إلى الشمال الغربى من المدينة^(٧). وإلى جانب هذا وجد ثلاثة شوارع رئيسية بالمدينة، هى: شارع عبدك، وشارع صالح بحى غانفر، وشارع حائط حيان^(٨).

(١) لسترنج: المرجع نفسه، ص ٥٠٩.

(٢) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ١٧٨.

(٣) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج ١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٥٢.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ص ٩٥.

(٤) بارتولد: المرجع نفسه، ص ١٧٨.

(٥) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٤، ص ١٨٤.

(٦) بارتولد: المرجع نفسه، ص ١٧٨، ١٨١.

(٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٥، ص ٣٢. بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى

الغزو المغولى، ص ١٨١.

(٨) بارتولد: المرجع نفسه، ص ١٨١.

بينما كانت قرى سمرقند كثيرة، أهمها قرية إيدج عند الجبل^(١) وقرية ارخس على أربعة فراسخ من سمرقند عند جبل شاوذار^(٢) وإسبسكت قرية على فرسخين من سمرقند^(٣) وقرية استان على ثلاثة فراسخ من سمرقند^(٤) وقرية أسمند^(٥)، وأشتابديزة قرية كبيرة بسمرقند متصلة بباب دستان^(٦) وقرية انداق على بعد ثلاثة فراسخ من سمرقند^(٧) وقرية بادن^(٨) وقرية برداد على ثلاثة فراسخ من سمرقند^(٩) وقرية بنجيكت على ستة فراسخ من سمرقند^(١٠) وقرية تخسيج على خمسة فراسخ من سمرقند^(١١) وقرية توذ على ثلاثة فراسخ من سمرقند^(١٢) وقرية توسكاس على فرسخ من سمرقند^(١٣) وقرية

(١) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج ١، ص ٢٨٩

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ١٠٥. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج ١، ص ١٤٥

(٣) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ١، ص ٥٠. ياقوت الحموي: المصدر نفسه،

مج ١، ص ١٧٢

(٤) السمعاني: المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٩. السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب،

بيروت، ١٩٩١م، ص ١٢. العسقلاني: تبصير المتبته بتحرير المشتبه، ج ١، بيروت، ص ٤٨.

(٥) السيوطي: المصدر نفسه، ص ١٣٠. القرشي: الجواهر المضية، تحقيق عبد الفتاح محمد

الخلو، ج ٤، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٣٦

(٦) البغدادي: مراصد الإطلاع، مج ١، ص ٨٠.

(٧) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٧. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج ١،

ص ٢٦٠.

(٨) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج ١، ص ٣١٧

(٩) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج ١، ص ٣٧٥.

(١٠) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٠. السمعاني: المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠١

(١١) السمعاني: المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٥٠. ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج ١،

ص ١٧

(١٢) السمعاني: المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٩١.

(١٣) السمعاني: المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٩٢.

خزاند على بعد فرسخين من سمرقند^(١) وقرية خرقان على بعد ثمانية فراسخ من سمرقند^(٢) وقرية درزيو على ثلاثة فراسخ من سمرقند^(٣) وقرية ديزكك لها رباطات ونهر جار^(٤) وقرية رخينون على ثلاثة فراسخ من سمرقند^(٥) وقرية ساغرج على خمسة فراسخ من سمرقند^(٦) وقرية سنكديزه^(٧) أو الرضاضة بالعربية أى الحجارة الصغيرة^(٨) وقرية فنك على نصف فرسخ من سمرقند^(٩) وقرية فرجيا من قرى سمرقند^(١٠) وقرية قطوان على خمسة فراسخ من سمرقند^(١١) وقرية قنطرة سمرقند وتسمى رأس القنطرة، وكان اسمها قديما خشوفغن^(١٢) وقرية كبوذ قرية على أربعة فراسخ من سمرقند^(١٣) وقرية كدن^(١٤) وقرية ماجندان على خمسة فراسخ من

(١) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٢، ص ٣٦٧

(٢) السيوطى: المصدر نفسه، ص ٩٠. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٢، ص ٣٦٠.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ص ٤٥٠.

(٤) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٢، ص ٥٤٣.

(٥) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٣، ص ٣٩.

(٦) السيوطى: لب اللباب فى تحرير الأنساب، ص ١٣٠. القرشى: الجواهر المضية، ج ٤، ص ٢٢٥.

(٧) السيوطى: المصدر نفسه، ص ١٤٢. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٣، ص ٢٦٤.

(٨) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ١٧٨.

(٩) البغدادى: مراصد الإطلاع، مج ٣، ص ١٠٤٥.

(١٠) البغدادى: المصدر نفسه، مج ٣، ص ١٠٢٤.

(١١) النجاشى: الرجال، جابخانہ مصطفوى، ص ٣٢١. ياقوت الحموى: المصدر نفسه،

مج ٤، ص ٣٧٥

(١٢) البغدادى: المصدر نفسه، مج ٣، ص ١١٢٧. السيوطى: المصدر نفسه، ص ٢١٣.

(١٣) البغدادى: المصدر نفسه، مج ٣، ص ١١٤٧. السيوطى: المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(١٤) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٤، ص ٤٢٢.

سمرقند^(١) وقرية مزنوى على أربعة فراسخ من سمرقند^(٢) وقرية وذار على أربعة فراسخ من سمرقند، فيها منارة وجامع وحصن حسن وهى كبيرة كثيرة البساتين والزروع فى سهل وجبل ومباخص^(٣) وقرية ورغسر عندها مقاسم مياه الصغد وفيها كروم وضيعاع^(٤).

مدن الصغد

هذا الإقليم يضم عدة مدن أولها ان جزت كرمينية، الدبوسية ثم اربنجن والكشانية واشتيخن وسمرقند^(٥) وكرمينية كانت تدعى فى الأصل بادية خردك (أى حرفيا الجرة الصغيرة)^(٦) وهى بلدة كثيرة الأشجار والثمار، تقع بين بخارى وسمرقند وتبعد عن بخارى ثمانية عشر فرسخا^(٧) يقول السمعانى إنه سمع: أبا تراب على بن طاهر الكرمينى يقول: "بلدتنا كرمينية فان العرب فى الفتوح لما رأوها قالوا: هى كأرمينية شبهوها فى الحسن وكثرة المياه والخضر بآرمينية^(٨) ثم حرف اللفظ إلى كرمينية، وكانت تعرف قديما

(١) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٥، ص ٣٣.

(٢) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٥، ص ١٢٢.

(٣) ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٥، ص ٣٦٩. محمود شيت خطاب: بلاد ما وراء النهر، ص ٩٨.

(٤) السيوطى: المصدر نفسه، ص ٢٧٤. ياقوت الحموى: المصدر نفسه، مج ٥، ص ٣٧٢.

(٥) الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٧٧. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٠٥. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٨٥.

(٦) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ١٩٠.

(٧) البغدادي: مراصد الإطلاع، مج ٣، ص ١١٦٢. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبى سعيد بن غرامه العمري، ج ١، دار الفكر العربى، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٩٠. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٩١. الترشيخى: تاريخ بخارى، ص ٢٧. عبد البارى محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٢.

(٨) السمعانى: الأنساب، ج ٥، ص ٥٨.

باسم بادية خردك وتسمى أيضا نشر، ولها قرى كثيرة منها خديمنكين وتبعد عنها بفرسخ واحد وبها مسجد جامع كبير وتتبعها أيضا ارفود^(١) وقرية كمنده^(٢) استولى عليها الخراب^(٣).

أما دبوسية فهي بليدة بين بخارى وسمرقند جنوبي وادي الصغد^(٤) كثيرة البساتين والثمار، ولها قرى ومزارع وعمارات حسنة ولها سور تراب وبها مياه جارية، ومن الدبوسية إلى اربنجن خمسة فراسخ^(٥).

واربنجن بليدة من سغد سمرقند وبعضهم يسقط الألف ويقول ربنجن، تقع جنوب وادي الصغد وهي أكبر من دبوسية^(٦). وهي مدينة متوسطة المقدار فيها أسواق وعمارات وتجارا وصنائع، ولها مزارع متصلة وبساتين، ومنها إلى سمرقند فرسخان^(٧) استولى عليها الخراب ونهبها صاحب خوارزم^(٨)، ومن قراها سكان^(٩).

(١) السمعاني: المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣٢. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٤٩.

(٢) البغدادي: المصدر نفسه، مج٣، ص ١١٧٨.

(٣) السمعاني: المصدر نفسه، ج٥، ص ٥٨.

(٤) أبو الفدا: المصدر نفسه، ص ٤٩١.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج١، ص ٤٩٧.

(٦) البغدادي: المصدر نفسه، مج٣، ص ١١٦٦. السمعاني: المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٤. أبو

الفدا: المصدر نفسه، ص ٤٩٣. القرشي الجواهر المضية، ج٤، ص ١٣٠. النرشخي:

المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٧) الإدريسي: المصدر نفسه، مج١، ص ٤٩٧.

(٨) البغدادي: المصدر نفسه، مج٣، ص ١١٦٦. السمعاني: المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٤. أبو

الفدا: المصدر نفسه، ص ٤٩٣. القرشي: المصدر نفسه، ج٤، ص ١٣٠. النرشخي:

المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٩) السمعاني: المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٦٥.

والكشانية بليدة بنواحي سمرقند من بلاد الصغد بينها وبين سمرقند اثنا عشر فرسخا وهي أعمر مدن الصغد، وهي واشتيخن متقاربتان في الكبر غير أن قسبة الكشانية أكبر وقراها أعظم، والكشانية قلب مدن الصغد وأعمرها^(١) ومن أهم قراها إسميثن^(٢) وكلاهما شمال وادي الصغد أما اربنجن ودبوسية فيقعان جنوب الوادي^(٣).

بينما كانت اشتيخن مدينة منفردة على غاية التزهة وكثرة البساتين والقرى والرياض، ولأشتيخن قهندز في المدينة وربض وأنهار مطردة وأسواق، وهي على بعد سبعة فراسخ من سمرقند، ولها رساتيق وقرى وهي في غاية التزهة والخصب والأشجار والثمار ولها مدينة وقهندز وربض وأنهار، وبينها وبين كشانية خمسة فراسخ^(٤) ومن أهم قراها زار^(٥) وزاور^(٦) ورستغفر^(٧).

خلاصة القول تمتع إقليم الصغد بصفة عامة وسمرقند بصفة خاصة بموقع جغرافي ممتاز؛ مما جعله قبلة للعلماء وطلاب العلم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين.

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج ١، ص ٥٠٣. أبو الفدا: تقويم البلدان،

ص ٤٩٣. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ص ٤٦١

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ١٥٦

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٢.

(٤) الإدريسي: المصدر نفسه، مج ١، ص ٥٠٣. البغدادي: مراصد الاطلاع، مج ١، ص ٨.

ابن حوقل: المصدر نفسه، ص ٤١٢، ٤١١. أبو الفدا: المصدر نفسه، ص ٤٩١.

(٥) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، ص ٥٢. ياقوت الحموي: المصدر نفسه،

مج ٣، ص ١٢٦

(٦) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٤.

(٧) السمعاني: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٢.

الحالة السياسية في مدن الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولي

• إقليم الصغد في عهد القراخانيين (١)

تعرف هذه الدولة في بعض كتب التاريخ باسم دولة آل افراسياب (٢) ودولة خانات تركستان أو الدولة الخاقانية أو الايلك خانية، وهم سلسلة من الملوك الترك المسلمين الذين حكموا بلاد ما وراء النهر زهاء ٢٣٠ سنة (٣٨٠ - ٦٠٩ هـ / ٩٩٠ - ١٢١٢ م)، وذلك بعد الدولة السامانية (٣) وقبل الغزو

(١) القره خانيون: لقب أعطاهم إياه المستشرقون لكثرة ورود كلمة قره في ألقابهم وتعني أسود أو قوى، ولا شأن لها في التاريخ، بينما ورد لفظ قره باللغة التركية بمعنى قبيلة.

Bosworth, The Islamic Dynasties, London, 1967. p113. Savvides, Alexis, Some Notes on the terms Khan and Khagan in Byzantine Sources, Studies in Honour of Bosworth vol.1, Leiden, 2000, p271.

(٢) افراسياب بطل اسطوري ورد ذكره في الشاهنامه للفردوسي ويعتبره الطورانيون جدا لهم. وبيت افراسياب أسرة تركية الأصل من قبيل القارلوق أو القرلق، ومن المحتمل أن يكون لها صلة بالجد توران الذي ذكر في الشاهنامه. وكان لجماعته دورها في التاريخ القديم للشعوب التركية، أو لها صلة بزعماء الترك الذين كانوا يحكمون قبل إسلامهم. الفردوسي: الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البنداري وعبد الوهاب عزام، ج١، ط٢، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م، ص ٨١. شاکر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣، ج٢، ص ٨٩٨.

Bosworth, OP.Cit , p113. Francis Henry Skrine and Ross, The Heart of Asia, London, 1899 p115.

(٣) نظامي العروضي السمرقندي: جهاز مقاله، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٤١. سليم نيساري: تاريخ أديبات إيران بعد از إسلام، تهران، ١٣٢٥، ص ٧٣.

Bosworth, The Heritage of Rulership in Dynastic Connections with the Past, Journal of the British Institute of Persian Studies, vol.11, 1973, p61.

المغولى، فهم الذين قضوا على الدولة السامانية فى بلاد ما وراء النهر وقضى عليهم الخوارزمشاهيه^(١).

حكمت هذه الدولة فى أراضى آسيا الوسطى المطوقة بجبال تيانشان (أى فى التركستان الغربية ما وراء النهر، والشرقية كاشغر) والتاريخ الأول لجماعات الخاقانية غامض والغالب أنه لم يكتب إلا بعد دخولهم الإسلام فى القرن (١٠هـ / ١٠م) وكان أول إسلامهم فى الفترة التى دخل فيها زعيمهم ساتوق بغراخان سنة (٣١٥هـ / ٩٢٧م)^(٢) الذى يعد المؤسس الأول للدولة القراخانيين^(٣).

ثم استطاع هارون بغراخان^(٤) حفيد ساتوق، بسط نفوذه على جميع القبائل التركية فى وادى سيحون، وبدأ بتهديد الدولة السامانية، حيث كانت الأراضى الخصبة فى الجنوب دافعا قويا أثناء ضعف السامانيين لتحرك القراخانيين جنوبا بزعمامة هارون بغراخان، لسد الفراغ الذى تركه ذلك الضعف فى الجو السياسى، واحتل سمرقند سنة (٣٨٢هـ / ٩٩٢م) وبعد ذلك استولى على ما وراء النهر كله، وصار نهر جيحون هو الحد الفاصل بينه وبين

(١) نظامى العروضى السمرقندى: المصدر نفسه، ص١٤١. عبد العظيم رضائى: تاريخ ده هزار ساله إيران از سلسله غزنويان تا انقراض صفوية، جلد٣، جاب بنجم، ١٣٧٣، ص٥١.

(٢) شاکر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها، ج٢، ص٨٩٨.

Bosworth, The Islamic Dynasties, p113. Francis Henry Skrine and Ross, The Heart of Asia, p119. Svat Soucek, A History of Inner Asia, Cambridge, 2000, p84.

(٣) عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب آسيا، الجمعية الخيرية التركستانية، ١٩٤٥، ص٤٨.

Francis Henry Skrine and Ross, OP.Cit, p114.

(٤) بغراخان: يسمى على الأصح بقرا أو بخرا، وهو اسم الناقة فى اللغة التركية الشرقية. حمد الله مستوفى القزوينى: تاريخ كزیده، ترجمة محمود مرسى قشطه، رسالة ماجستير بأداب عين شمس، ١٩٦٨م، ص٢٤.

جيرانه الغزنويين في الغرب الذين شاركوه في الاستيلاء على أملاك السامانيين^(١).

ظلت حدود الايلك خانيين هي نهر جيحون وأراضيهم في بلاد ما وراء النهر بعد ذلك حوالى القرنين، ويظهر أن هذه الدولة لم تحكم كدولة موحدة أبداً، ولكن كأرض لزعماء من تحالف قبلي واحد ذى حكم لا مركزى وعلاقات واهية. فقامت منذ سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م) حروب ضروس بين أفراد الأسرة استمرت حتى سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م) واقتسمت خلالها الدولة بين فرعين من فروع أسرة أفراسياب^(٢).

* فرع للخانات الغربيين في سمرقند ويضم بلاد ما وراء النهر غربى فرغانة حتى خجند.

* وفرع للخانات الشرقيين يضم اسبيجاب والشاش وشرقى فرغانة حتى كاشغر^(٣). حكم الفرع الأول على بن موسى وسلالته (وهو الفرع الايلكى)

(١) شاعر مصطفى: المرجع نفسه، ج٢، ص٨٩٩. محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٦٢، ١٦١.

Barthold, Four Studies on the History of central Asia, translated by Minorsky, vol.1, Leiden, 1962, p22. Edgar Knobloch, Turkestan, Taschkent, Buchara, Samarkand, pp42,43. Bosworth, The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids, Journal of the British Institute of Persian Studies, vol.6, 1968, p36

(٢) شاعر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها، ج٢، ص٨٩٩.

Barthold, Four Studies on the History of central Asia ,p22.

(٣) History of Bosworth, The Islamic Dynasties, p113. Davidovich, The Karakhanids civilization of central Asia, vol.4, Unesco, 1992, p126. Henri Stierlin, Islamic art and Architecture from Isfahan to the Jaj Mahal, Italy, 2002, p25. Svat Soucek, A History of Inner Asia, p84.

فى الغرب فى حىن حكم الفرع الشرقى أسرة ابن عمه هارون أو حسن بغراخان (آل حسن) فى الشرق^(١).

كان التنافس طبيعىا بين الفرعين، وكانت المنطقة الوسطى من حوض نهر سيحون هى مجال الخلاف والحروب، لكن ظهور السلاجقة فى تلك الفترة بعد مطلع القرن الخامس الهجرى أبعد هذه المنافسات القبلية التركية عن مراكز الاهتمام، بعد أن كانت مركز اهتمام وتدخلات السلطان الغزنوى قبل ذلك وسبب الحروب معهم^(٢).

مما يجدر الإشارة إليه أن بداية العلاقات بين القراخانيين وبين السلاجقة بدأت بالعداوة وذلك عندما اشتبك الأمير القراخانى ناصر الدولة يوسف قدرخان بن هارون بغراخان (٤٠٤ - ٤٢٣هـ/١٠١٣ - ١٠٣١م) مع السلاجقة فى عدة حروب، وكانوا قد أقاموا فى بلاده واحتموا به، لكنه غدر بهم وأسر طغرلبك فثار أخوه جغرى بك داود، وسار لمحاربته واستطاع أن يخلص أخاه من الأسر. كان ذلك أول صدام بين السلاجقة والقراخانيين فى تركستان^(٣).

حرص القراخانيون على توطيد علاقاتهم بأمرء السلاجقة فتحالف

(١) الكرديزى: زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٦. بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ٤٢١.

Bosworth, The New Islamic Dynasties, New York, 1996, p181

Davidovich, , OP.Cit, p126,127.

(٢) شاكر مصطفى: المرجع نفسه، ج٢، ص ٩٠٠.

(٣) المقرئى: السلوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ج١، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٣٦،

١٣٧. أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، الكويت، ١٩٧٥م،

ص ٢٤. محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى

الأول، ص ١٦٣.

بغراخان معهم وأخذ يحرضهم على الإغارة على أملاك السلطان مسعود بن محمود الغزنوي، فلما دخل طغرلبك خراسان سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) بعث إليه برسالة وعده فيها بمده بالرجال والعتاد^(١) ومما قاله فيها: " اصمدوا وربطوا حتى نرسل لكم أى عدد من الرجال تريدون"^(٢).

على أن العلاقات بين السلاجقة والقراخانيين ما لبثت أن تغيرت حين سعى السلاجقة إلى السيطرة على بلاد ما وراء النهر حيث تقع البلاد الخاضعة لحكم القراخانيين، ففي سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٥م) قام السلطان ألب أرسلان بهجوم على أراضي طمغاج خان إبراهيم حاكم سمرقند. فتنازل الخان طمغاج خان إبراهيم وهو على قيد الحياة عن العرش لابنه شمس الملك^(٣)، فأشعل أخوه شعيث نار الثورة ضده فأصبحت سمرقند مسرحاً للقتال بين الأخوين وذلك في نفس العام الذي توفي فيه والدهم (٤٦١هـ/١٠٦٨م)، وانتهى الأمر في صالح شمس الملك^(٤). وفي عهده قام السلطان ألب أرسلان سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) بحملة على بلاد ما وراء النهر في جيش ضخم لقتال شمس الملك حاكم سمرقند^(٥) لكن الحملة توقفت منذ البداية بسبب موت

(١) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، ص ١٦٣.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب، وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣٣.

(٣) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٢٤٨.

(٤) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص ٤٦٢.

(٥) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ج ٤، دمشق، ١٩٨٨م، ص ١٩٨٣. نظام الملك: سياست نامه، ترجمة السيد محمد العزاوي، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٣١. أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٣٦.

Boyle, The Saljuq and Mongol periods , the Cambridge History of Iran , vol.5,1968,

Francis Henry Skrine and Ross ,The Heart of Asia ,p131. p91.

السلطان ألب أرسلان الذي خر صريعاً من طعنة سددها إليه صاحب إحدى القلاع يدعى يوسف الخوارزمي^(١).

فاستولى حاكم سمرقند شمس الملك على ترمذ سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) وشتت جيوش أياز أخا ملكشاه^(٢)، ولما بلغ الخبر ملكشاه سار إلى ترمذ سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٤م) وحاصرها ورمأها بالمنجنيق حتى استأمن أهلها واعتصم أخو شمس الملك بقلعتها، ثم استأمن وأطلقه السلطان إلى أخيه، وسار السلطان ملكشاه إلى سمرقند ففارقها حاكمها، وبعث أخاه للسلطان في الصلح، وتوسط نظام الملك فأجابه ورده إلى سمرقند ورجع السلطان إلى خراسان^(٣).

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج٥، ص ٧٠. الذهبي: العبر في خبر من غير، تحقيق أبي المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣١٨. ابن العبري: تاريخ الزمان، ترجمة الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١١٣. ابن العديم: المصدر نفسه، ص ١٩٨٣. رياحى بور: اطلاعات عمومی برای استفادۀ عموم کرداورنده، ١٣٥٢ ص ٥٥. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٢٤٨. عبد الله رازی: تاريخ كامل إيران، جابخانه إقبال، ١٣٧٢، ص ٢٠٠.

Albin Michel ,Dictionnair de l,Islam Religion et Civilisation Encyclopedia Universalis, P768 .

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ط٣، بيروت، ١٩٩٨ ص ٧٧. الحسيني: زبدة التواريخ، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٢٦. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ج٤، ص ٢٦. عبد الله رازی: المرجع نفسه، ص ٢٠٠. ناصر الدين شاه حسيني: كارنامه بزرگان إيران، ١٣٤٠، ص ٣٣.

Francis Henry Skrine and Ross , The Heart of Asia, p132.

(٣) الحسيني: المصدر نفسه، ص ١٢٨. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج ٤، دار الكتب العلمية بيروت، ص ٤٧١. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، =

كانت أوضاع سمرقند آنذاك غير مستقرة؛ ولا سيما بعد نشوب نزاع بين شمس الملك وابني قدرخان يوسف، وهما: طغرل قراخان يوسف وبغراخان هارون، وانتهى هذا النزاع بالصلح^(١)، ثم توفي حاكم سمرقند شمس الملك، فخلفه أخوه خضرخان (٤٧٢هـ/ ١٠٨٠م)^(٢)، وبلغت سمرقند وسائر بلاد ما وراء النهر في عهده أقصى درجات الرخاء وامتد سلطانه على جميع بلاد ما وراء النهر واتصف حكمه بالعدل^(٣). ومن بعده أحمد خان (٤٧٣هـ/ ١٠٨١م) وكان ظالما غير محمود السيرة، وكان على عدااء مع رجال الدين مما أدى إلى تدخل السلاجقة. فبعد ما التمس رجال الدين من السلطان ملكشاه العون وأطمعوه في البلاد، تحركت دواعي السلطان إلى ملكها^(٤) ومن ثم قصد السلطان ملكشاه بلاد ما وراء النهر وأتى سمرقند وحاصرها واستولى عليها وأسر حاكمها أحمد خان^(٥) وأتاب فيها أحد

=تحقيق عبد السلام تدمري، ج٣١، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٥. السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، مج٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦، ص١٦٧.

Sevim and Bosworth , The Seljuqs and the Khwarazm shahs , History of civilization central Asia vol.4, Unesco,1992,p157 .

(١) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص٤٦٣.

(٢) نظام الملك: سياست نامه، ص١٣١. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد فوزي العنتيل، ج٢٦، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م، ص٣٢٧.

(٣) بارتولد: المرجع نفسه، ص٤٦٤.

(٤) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ط٥، دار الفكر العربي. بيروت، ص٥٩٣.

Boyle, The Saljuq and Mongol periods ,p92. Michal Biran , Ilk khand , Encyclopedia New York,2004,p622. Iranica ,vol. 12,

(٥) ابن أبيك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج٦، القاهرة، ١٩٦١، ص٤٣٠. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق لجنة تحقيق التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٠، ص٥٧. الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، =

عماله أبا طاهر عميد خوارزم^(١)، وسار السلطان قاصداً كاشغر فدخل ملكها في الطاعة ورجع السلطان إلى خراسان^(٢)، فلما بعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفين بالجلكية مع العميد طاهر، حتى كادوا يثبون عليه، فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى إلى خوارزم، وكاتب مقدم الجلكية واسمه عين الدولة يعقوب تقين أخا ملك كاشغر يستدعيه فحضر عنده، وتم الاتفاق بينهما لكن يعقوب علم أن أمره لا يستقيم معه، فحرض عليه الرعية الذين كان قد أساء إليهم حتى أدعوا عليه دم قوم كان قد قتلهم، وأخذ يعقوب الفتاوى عليه فقتله، ووصلت الأخبار إلى السلطان ملكشاه، فعاد السلطان إلى سمرقند، فلما علم يعقوب المستولى على سمرقند قدوم السلطان فر هاربا إلى فرغانة، وملك السلطان سمرقند^(٣) ثم أعاد السلطان أحمد خان إلى الحكم ولكنه لم يدم طويلاً، فلم يلبث أن قتل لزندقته وانحلاله سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)^(٤) وخلفه ابن عمه

=ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وعبد النعيم حسنين، ١٩٦٠م، ص ٢٠١. القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت، ص ٢٧٢. القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م، ص ١٢٠. عبد الله رازي: تاريخ كامل إيران، ص ٢٠١.

Bietrich Brandenburg, Samarkand, p15.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٤، ص ١٢. النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٦، ص ٣٢٧.

(٢) اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ٣، ط ٢، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٣٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ١٧٣، ١٧٢. ابن خلدون: المصدر نفسه، مج ٤، ص ١٢. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٣، ص ٩. النويرى: المصدر نفسه، ج ٢٦، ص ٣٢٨. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٢٥٣.

(٤) الذهبي: العبر في خبر من غير، ج ٢، ص ٣٥٦. أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٠، ص ٢٠٦. القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٤٧. اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ٣، ص ١٤٥.

Francis Henry Skrine and Ross, The Heart of Asia, p121. Sevim and Bosworth, The Seljuqs and The Khwarazm Shahs, History of civilization central Asia, p157.

مسعود^(١). هكذا خضعت سمرقند لحكم السلاجقة حكما مباشراً، واصبح
حكامها تابعين للسلاجقة حتى عهد السلطان سنجر^(٢).

ولما توفي السلطان ملكشاه(٤٨٥هـ/١٠٩٢م) أخذ الضعف ينخر في
كيان الدولة السلجوقية، ويوهنها الانقسام والتنازع على السلطة ومن ثم انفرط
عقد السلاجقة وتمزقت وحدتهم^(٣)، وانقسمت الدولة السلجوقية إلى عدة
دول مستقلة سميت كل واحدة منها باسم المنطقة التي تسيطر عليها، فخضعت
بلاد ما وراء النهر لبركياروق بن ملكشاه وخطب له في سمرقند سنة
(٤٩٠هـ/١٠٩٦م)^(٤). وعين على التوالى سليمان تكين فمحمود تكين ثم
هارون تكين حكاما على البلاد^(٥).

ولا شك أن للصراع الدائر بين حكام السلاجقة بعد ملكشاه أثره
الواضح في شغل هؤلاء الحكام عن سمرقند، فكانت السلطة لهم مجرد اسم
فقط، أما الحكم الفعلى فكان للأمرء الوطنيين القراخانيين^(٦) ويؤكد ذلك

(١) أبو الفدا: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠٦. القلقشندي: المصدر نفسه، ج٤، ص٤٤٧.

(٢) Svat Soucek , A History of Inner Asia, p96

(٣) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر
العربي، ١٩٥٣، ص٦، ٧. سديو: تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة،
١٩٤٨، ص٢٥٥.

Barthold, Four Studies on the History of central Asia, p26. Lane Poole, The Mohamma-
dan Dynasties, Paris, 1925, p152. Pope and Phyllis Ackerman , A Survey of Persian
art from Pre history times to the Present , vol.1, p89

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص٣٩٤. أبو الفدا: المصدر نفسه، ج٢،
ص٢٠٩.

(٥) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٣٨. الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية،
تصحيح محمد إقبال، بيروت، ١٩٨٤، ص٧٨.

(٦) أحمد محمود الساداتي: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، دار الثقافة، القاهرة،
١٩٧٩، ص١٨٨. أرمينوس فامبري: تاريخ بخارى، ص١٤٠.

عصيان هؤلاء الأمراء للملك سنجر، ففي سنة (٤٩٥هـ/١١٠١م) قبيل عودته من بغداد إلى خراسان بعد أن خطب لأخيه محمد بخراسان، طمع قدرخان جبريل بن عمر حاكم سمرقند في خراسان لبعث سنجر عنها، وبالفعل خرج عليه، لكن سنجر تمكن منه وقتله^(١) وعين صهره محمد أرسلان خان بن سلمان بن داود بغراخان على سمرقند وكان من الأسرة الخانية، وارتفع شأنه ولقب بأرسلان خان، وصاحب بلاد ما وراء النهر، وكان تحت طاعة سنجر المباشرة، فأمدته سنجر أكثر من مرة للقضاء على معارضييه من بينها ما حدث سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م) فدفع أعداءه، وظل أرسلان خان يحكم في بلاد ما وراء النهر بسلام إلا في عام (٥٠٧هـ/١١١٣م) حينما أخبر سنجر أن أرسلان خان يظلم رعاياه، فتحرك سنجر بجيشه إلا أن أرسلان خان توسل خوفاً بالأمير طماج أكبر أمراء سنجر آنذاك، وقبل أرسلان خان الأرض فعفا عنه سنجر^(٢).

وما لبث أرسلان خان أن طلب عون السلطان سنجر وذلك عندما قتل قاضي سمرقند ورئيسها أحد أبنائه سنة (٥٢٤هـ/١١٢٩م)، فتحرك السلطان بجيشه إلى بلاد ما وراء النهر لكن قبل وصوله أحمد ابن آخر للخان الفتنة، فأرسل إلى السلطان يعرفه أنه قضى على الفتنة ولم يعد بحاجة إلى عونه، فغضب السلطان من ذلك، وبينما هو في الصيد وقع في أسره جماعة في السلاح التام ادعت أن السلطان أرسلان خان سيرهم لقتل السلطان سنجر^(٣).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٥٨، ٥٧. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٤١. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٤، ص٥٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٤٠٥. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٢٧٧.

(٢) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٩، ص١٥٠. عباس إقبال: المرجع نفسه، ص٢٧٨، ٢٧٧. محمد محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقي، القاهرة، ١٩٨٨، ص٣٢.

(٣) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٩، ص٢٥٣. ابن خلدون: العبير، مج ٤، ص٤٧٣. ميرخوند: روضة الصفا، تهذيب وتلخيص عباس زرياب، القسم ٤، تهران، ١٣٧٣هـ =

فهاجم السلطان سمرقند واستباحها وملكها عنوة وقبض على أرسلان خان وأرسله إلى ابنته زوجة السلطان فبقى عندها إلى أن توفي^(١)، وأقام السلطان سنجر بسمرقند حتى أخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد إلى الأمير حسن تكين وعاد إلى خراسان؛ فما لبث حسن تكين أن مات فملك بعده محمود بن محمد خان بن سليمان^(٢).

لما انتصر القره خطائيون على السلطان سنجر في موقعة قطوان (٥٣٦هـ/١١٤١م) انتقل النفوذ في بلاد ما وراء النهر إلى الخطا^(٣) وكان لانتصار الخطا على السلطان سنجر أثر ' كبير' في تاريخ الدولة السلجوقية، جعلت الخطا يوسعون من نفوذهم في بلاد ما وراء النهر ووقعت في أيديهم سمرقند وبخارى^(٤)، وتعهده الخانيون بدفع إتاوة للملوك الخطا وكان ذلك خطراً

=ص٦٨٣. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٦، ص٣٨٢، ٣٣٨. عباس

إقبال: المرجع نفسه، ص٢٨١. محمد محمود إدريس: المرجع نفسه، ص٥٦.

(١) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص٢٥٣. الراوندي: راحة الصدور، ص٢٥٧. السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٩٩. أرمينوس فاميرى: تاريخ بخارى، ص١٤٢. حمد الله المستوفى القزويني: كتاب تاريخ كزیده، ص١٢٣. عبد الرقيق حقيقت: نهضتهای ملی ایران استقرار حكومت سلطان سنجر سلجوق، ارمغان، شماره ١٠، دوره جهل وبنجم، سال بنجاه وهشتم، ٢٥٣٥، ص٥٣٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٥٣. ابن خلدون: العبر، مج٤، ص٤٧٣. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٦، ص٣٨٣. محمد محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقي، ص٥٧.

(٣) شرين بياني: دين ودولت در ایران عهد مغول، جلد اول، تهران، ص٦٧.

David Morgan, The Mongols, Cambridge, 1990, p48. Edgar Knobloch, Turkestan, Taschkent, Buchar, Samarkand, p45.

(٤) ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ص٧٤. المقریزی: السلوك، ج١، ص١٤٥. باول هرن: تاريخ إيران، ترجمة رضا زاده شفق، طهران، ١٣١٤، ص٦٧. عبد العظيم رضایی: تاريخ ده هزار ساله ایران، جلد٣، جاب بنجم، جاب اقبال ومروى، ١٣٧٣، ص٧٧.

جسيما على الدولة الإسلامية، واستمرت دولتهم حتى سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) حينما قضى عليها الخوارزميون^(١).

• إقليم الصغد تحت حكم السلاجقة

يرجع السلاجقة في أصولهم إلى مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم الغز أو الاوغز^(٢) الذين دفعتهم الظروف الاقتصادية والسياسية السائدة في تركستان إلى التنقل بحثا عن أسباب العيش الرغيد، فانسابوا من سهول التركستان (٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) وسكنوا أول أمرهم بلاد ما وراء النهر، وكانت منازلهم في الشتاء في نور بخارى وفي الصيف في صغد سمرقند^(٣)،

Barthold, Four studies on the History of Central Asia, vol.P29. Edgar Knobloch, Beyon the Oxus, Archaeology Art and Architecture of central Asia, London, 1972, p30.

Robert Blake, The Circulation of Silver in the Moslem East Down to the Mongol Epoch, Harvard Journal of Asiatic Studies, vol.2, no.3/4, 1937, p311.

(١) احمد ناجى القيسى: عطارنامه، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٨، ص١٦. ايرين فرانك: طريق الحرير، ص٢٨٨. باول هرن: المرجع نفسه، ص٦٧.

Edgar Knobloch, Monuments of Central Asia, p21. Svat Soucek, A History of Inner Asia., p100. Saunders, The History of the Mongol Conquests, London, 1971, p40.

(٢) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، ١٩٧٦، ص١٥١. ناصر الدين شاه حسيني: كارنامه بزرگان إيران، ١٣٤٠، ص٣٤٥. هارى وهازارد: أطلس التاريخ الإسلامى، ترجمة إبراهيم زكى خورشيد، القاهرة، ص١٤.

Harrison, Sherwin, Persia, Oxford, 1945, p257. Sourdell, La Civilisation de L'Islam classique, Paris, 1968, p97. William Langer, Robert Blake, The Rise of the Ottoman Turks and its Historical Background, the American Historical, Review, vol.37, no.3, 1932, p479.

(٣) الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص١٤٥. حمد الله المستوفى القزوينى: تاريخ كزيده، ص٩. حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، مطبعة الإرشاد، بغداد، =

وأطلق على هذه القبائل اسم السلاجقة نسبة إلى رئيسها سلجوق بن دقاق الذى وحدها تحت زعامته فنسبت إليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده^(١).

أدى جوار السلاجقة للمسلمين السنيين من السامانيين والحنانيين والغزنويين إلى اعتناقهم الإسلام^(٢)، واستفاد سلجوق بن دقاق من مساعدته للسامانيين الذين استنجدوا به ضد هارون إيلك خان، فأذنوا له بالمرور فى بلادهم والاستقرار بقومه بالقرب من شاطئ نهر سيحون^(٣).

=١٩٦٥م، ص٤٥. خالد عزام: موسوعة التاريخ الإسلامى العصر العباسى، الأردن، ٢٠٠٣، ص٢٢٨. زبيدة عطا: الترك فى العصور الوسطى، دار الفكر العربى، ص٣٩.
(١) دقاق باللغة التركية تعنى القوس من الحديد. الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص١. فضل الله العمرى: مسالك الأبصار، ص٧٧. القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، ص٢٧٠. يوحنا ابكارىوس: قطف الزهور فى تاريخ الدهور، ط٤، بيروت، ١٨٩٨، ص١٢١.

Sevim and Boworth, The Seljuqs and the Khwarazm Shahs, History of civilization of central Asia, vol.4, p145. Bosworth, The Ghaznavids, Edinburch, 1963, p219.

(٢) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ط٧، بيروت، ١٩٧٧، ص٢٧٢. عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ترجمة أحمد كمال الدين حلمى، الكويت، ١٩٨٤، ص٢٩.

Svat Soucek, A History of Inner Asia, p95.

(٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٧٢. حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، ص٤٦ عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب آسيا، ص٥٢. محمد عبد الباسط عبد الهادى محمد حسين: الشرق الإسلامى من ظهور السلاجقة حتى زوال الخلافة العباسية ببغداد، مكة، ١٤١٤، ص٩.

The Seljuqs and the Khwarazm Shahs, History of civilization of Sevim and Bowsorth, central Asia, vol.4, p145. Bosworth, The Ghaznavids, p221.

استطاع السلاجقة فى سنوات معدودة إعداد جيش قوى، حتى صاروا قوة يخشى بأسها ويرهب جانبها. وبعد أن أحس السلاجقة بقوتهم بدأوا يغيرون على المناطق المجاورة لهم ويحاولون توسيع ممتلكاتهم، فأوجس منهم الغزنويون خيفة، وكان على رأسهم قائدهم محمود الغزنوى الذى استطاع بالحيلة والدهاء القبض على إسرائيل بن سلجوق وحبسه فى قلعة كالنجر بالهند وظل سجيناً بها حتى وفاته، وكان لهذه الخديعة وقع عظيم فى نفس ميكائيل الذى تولى زعامة السلاجقة ونقلهم إلى إقليم خراسان كبدية لمرحلة جديدة من مراحل كفاحهم، وذلك للانقضاض على الدولة الغزنوية والأخذ بثأر إسرائيل^(١)، وسرعان ما جاءت الفرصة عندما توفى السلطان محمود وخلفه ابنه مسعود الذى اصطدم بالسلاجقة، ونتج عن هذا الاصطدام دخول طغرلبيك بقواته نيسابور وجلوسه على عرش مسعود، وصار بذلك أول سلطان للسلاجقة.

والواقع أن عام (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) ينبغى أن يعد البداية الفعلية والحقيقية لقيام الدولة السلجوقية، فقد باشر طغرل مهامه باعتباره سلطاناً للدولة منذ ذلك التاريخ^(٢) وقويت أركانها بعد معركة داندنقان الحاسمة مع

(١) الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص١٤٨-١٥١. السيد عبد المؤمن السيد أكرم: أضواء على تاريخ توران (تركستان)، ط٢، مطبعة رابطة العالم الإسلامى، ١٣٩٩، ص٥٢. عبد العظيم رضائى: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد ٣، ص٦٩.

(٢) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، ط٢، بيروت، ١٩٥٨، ص١٨٣. ابن القيسرانى: صفوة التصوف، تحقيق غادة المقدم عدرة، بيروت، ١٩٩٥، ص٤٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ط٥، بيروت، ١٩٨٣، ص٤٣. عبد النعيم حسنين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، دار الكتاب المصرى اللبنانى، ١٩٨٢، ص٣٦.

Harrison, Sherwin, Persia, p257. Robert Irwin, The Emergence of the Islamic World System, the Cambridge Illustrated History of the Islamic World, Italy, 1996, p38.

الغزنويين (٤٣١هـ/١٠٣٩م)، فأصبحت الدولة السلجوقية أكبر قوة عسكرية فى المشرق الإسلامى (١).

رأى الوزير نظام الملك فى عهد السلطان ألب أرسلان أن السياسية أنفع فى معاملة الدولة الخانية فى سمرقند، وخير وسيلة لذلك هى ربط الدولتين برباط المصاهرة، فزوج السلطان ابنه ملكشاه بابنة خاقان ما وراء النهر وبذلك ارتبطت الدولتان برباط المصاهرة، وساعدت تلك المصاهرة فى بعض الأحيان على استقرار العلاقات بين الدولة السلجوقية وخانات ما وراء النهر فى عهدى ألب أرسلان وملكشاه (٢) وعقدت مصاهرة ثانية دعمت ذلك الاستقرار إلى حد ما، إذ تزوج شمس الملك بن إبراهيم طمغاج خان بابنة ألب أرسلان (٣).

سبق أن أسلفنا ما حدث من تطورات سياسية فى سمرقند فى عهد السلطان ملكشاه وعهد ابنه السلطان سنجر، ولسنا بحاجة ان نسترسل فى هذه التفصيلات .

خلاصة القول: كانت وفاة السلطان سنجر سببا لانقسام الدولة السلجوقية واطمحلالها وانفصلت بلاد ما وراء النهر التى كانت أصل الدولة

(١) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٧. حمد الله المستوفى القزوينى: تاريخ كزیده، ص٩٤. الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ص١٦٥. الكرديزى: زين الأخبار، ص٣٣١. مجهول المؤلف: تاريخ سيستان، ص٣٦٤. عبد الجبار ناجى وآخرون: الدولة العربية الإسلامية فى العصر العباسى، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص٣٨٣.

Amir Siddiqi, Caliphate and Kingship in Medieval Persia, U.S.A, 1977, p75. Soudel, La Civilisation de L'Islam classique, p97.

(٢) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٥٨٦. فتحى أبو سيف: المصاهرات السياسية فى العصرين الغزنوى والسلجوقى، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٥٢.

(٣) فتحى أبو سيف: المرجع نفسه، ص١٥٢.

ومهدها عن بقية أجزائها، وظهرت دولتان تركيتان: إحداهما وثنية وهي دولة الخطا، والأخرى مسلمة وهي الدولة الخوارزمية.

● إقليم الصفد في ظل حكم الخطا

الخطا قبائل تركية، كانت تسكن شمال شرق إيران في عهد السلاجقة، وكانوا من الوثنيين، واستطاعت هذه القبائل أن تثبت أقدامها في هذه المنطقة وأن تؤسس لها دولة حوالى عام (٥١٨هـ/١١٢٤م)^(١) على يد لوتاشى^(٢)، عرفت بدولة الخطا^(٣). بينما أطلق عليها المغول اسم القره خطائين^(٤)، وكان يطلق على ملوكها لقب كرخان^(٥) واتخذت لها عاصمة هي مدينة بلاساغون^(٦).

أما عن أصل هؤلاء الخطا فهم من شمال الصين، ويرجع سبب هجرة هذه القبائل من موطنهم الأصلي من شمال الصين إلى اضطراب الأحوال السياسية في النصف الأول من القرن السادس الهجرى، فساروا إلى أن نزلوا

(١) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص ٦١١. حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) النسوى: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، ص ٣٦.

(٣) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: المرجع نفسه، ص ٦١١.

(٤) قره: لفظ تركى معناه اسود، وربما أطلق المغول هذا اللفظ على الخطا تعبيراً عن عدائهم وكراهيتهم لهم. ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج ١، ص ٧٣.

David Morgan, The Mongols, p48.

(٥) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: المرجع نفسه، ص ٦١٢. حسين أمين: المرجع نفسه، ص ٢٦٥.

(٦) بلاساغون: مدينة كبيرة من ثغور الترك قرب كاشغر فى شمال نهر سيحون. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٩٤. شرين بيانى: دين ودولت در إيران عهد مغول، جلد أول، ص ٦٧.

بإقليم التركستان^(١)، وعظم نفوذ هذه الدولة حتى أخضعت القبائل التركية التي كانت تعرف باسم قرغيز، ثم أخذت في الإغارة على البلاد الإسلامية في عام (٥٣١هـ/١١٣٦م)^(٢) وسلكوا طريق ما وراء النهر، فتقدم إليهم الخاقان محمود بن أرسلان لكنه هزم، وركن إلى الفرار إلى سمرقند وعم البلاد فزع 'عظيم' فأرسل أهل بلاد ما وراء النهر الخان محمود إلى السلطان سنجر وطلبوا عونه لدفع الكوخان القراخطائي^(٣).

فتوجه السلطان سنجر لملاقاة الخطا ومعه مائة ألف مقاتل وشيخ الإسلام الحسام عمر ابن عبد العزيز بن مازة وفي صحبته من الفقهاء والخطباء والوعاظ والمطوعة ما يزيد على عشرة آلاف نفر^(٤). ولما أحس هؤلاء بقوة السلطان سنجر أرسلوا إليه يعتذرون ويتعهدون بالطاعة والخضوع له، لكنه صمم على استئصالهم^(٥).

(١) ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ص ٧٣. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢١٥. جوزيف وبوزورث: تراث الإسلام، عالم المعرفة، الكويت، ص ١٧٦. شرين بياني: المرجع نفسه، ص ٦٧. فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م، ص ٢٢، ٣٢.

Edgar Knobloch, Turkestan, Taschkent, Buchara, Samarkand, p44.

(٢) البنداري: تاريخ دولة ال سلجوق، ص ٢٥٣. النسوي: المصدر نفسه، ص ٣٦.
(٣) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ١٠٧. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، جاب دروازدهم، تهران، ١٣٧٢، ص ٩١. السيد عبد المؤمن السيد أكرم: أضواء على تاريخ توران، ص ٥٨. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٢٨٤. عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب آسيا، ص ٦٠.

Barthold, Four studies on the History of central Asia, vol.1, p28. Boyle, The Saljuq and Mongol periods, the Cambridge History of Iran, vol.5, p149.

(٤) ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٦٣م ص ٢٦٨.

(٥) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٦١٢.

فقد ملك الخطا كورخان الجيوش في ثلاثمائة ألف فارس^(١) وتقابل السلطان سنجر وإياهم في قطوان على بعد خمسة فراسخ من سمرقند، ودارت بين الطرفين معركة طاحنة، وذلك في وادي درغم سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م)^(٢). فألحق الخطا بجيش السلطان سنجر هزيمة منكرة^(٣). فهرب السلطان سنجر والخاصان محمود، ووقعت زوجته ابنة ارسلان خان والأمير قماج أسرى^(٤)، وأسر الحسام وأعيان الفقهاء. وبعد انتهاء المعركة

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، اعتناء محمد عدنان ومصطفى الحيارى، ج٤، ٢٤، بيروت، ١٩٩٣، ص٣٧٥.

(٢) الأبندي: تاريخ دولة ال سلجوق، ص١٧٩. البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٤٦، ص١٣١. ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٥٥. القلانسي: ذيل تاريخ بغداد، بيروت، ١٩٠٨، ص٢٧٥. كرمانى: سلجوقيان وغاز در كرمان تعليق باستانی باريزى، تهران، ١٣٧٣، ص٢٧٤. عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله ايران، ص٧٧.

David Morgan, Medieval Persia, London and New Yew, 1988, p47. Francis Henry Skrine and Ross, The Heart of Asia, p138,139.

(٣) ابن أبيك الدوادارى: كثر الدرر وجامع الغرر، ص٥٣٥. محمد بن المنور بن أبى سعيد بن طاهر: أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد، ترجمة إسعاد عبد الهادى قنديل، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص٤٣١. حسين كريمان: رى باستان، ميج دوم، طهران، ١٣٤٥، ص١٩٧. دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، ط٢، ١٩٨٥، ص٦١. صفاء حافظ: شحنة بغداد فى العصر السلجوقى، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب جامعة الزقازيق، ١٩٩٧، ص١٢٣، ١٢٢.

Barthold, Four Studies on the History of Central Asia, vol.1,p29. Bosworth, The New Islamic Dynasties, p180. Bretschneider, Medieval Researches, vol.1,p215 Percy Sykes, A History of Persia, vol,2, London, 1963, p49. Saunders, A History of Medieval Islam, London, 1972, p162.

(٤) ابن الجوزى: المتظم، ج١٠، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الدكن، ١٩٤٠م، =

أحضرهم ملك الخطا وقال لهم: " ما الذى دعاكم إلى قتال من لم يقاتلكم والإضرار بمن لم يضركم " وضرب أعناق الجميع^(١)، ومنهم الإمام شرف الزمان الايلاقى، والحكيم السمرقندى .

وقال الشيخ فخر الدين المالكى فى تلك الواقعة:

بوادى درغم سقيت كرام أريق دماؤهم بيد اللثام
بكيتهم وحق لهم بكائى بأجفان مؤرقة نيام
فتحسبها و قطر الدفع فيها غداة المزن أذبال الخيام^(٢)

كان لانتصار الخطا على السلطان سنجر أثر كبير فى تاريخ الدولة السلجوقية، جعلت الخطا يوسعون من نفوذهم فى بلاد ما وراء النهر ووقعت فى أيديهم سمرقند^(٣)، وتعهد الخانيون بدفع إتاوة للملوك الخطا^(٤)، وكان ذلك

=ص٩٧ . الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج٢، ص٤٤٩. ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، المطبعة الوهية، ١٢٨٥، ص٤٤. اليافعى: مرآة الجنان، ج٣، ص٢٧٦.

David Morgan, Medieval Persia, p47.

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج٥، ص٢٦٨

(٢) الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص٩٥

(٣) ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ص٧٤. المقرئى: السلوك، ج١، ص١٤٥. باول هرن:

تاريخ إيران از أول إسلام تا انقراض زنديان، ص٦٧. عبد العظيم رضائى: تاريخ ده هزار

ساله إيران، جلد٣، ص٧٧

Barthold, Four studies on the History of central Asia, vol.P29. Edgar Knobloch, Beyon

the Oxus, Archaeology Art and Architecture of Central Asia , p30. Robert Blake,

The Circulation of Silver in the Moslem East Down to the Mongol Epoch, Harvard

Journal of Asiatic Studies, vol.2, no.3/4, 1937, p311.

(٤) شرين بيانى: دين ودولت در إيران عهد مغول، جلد أول، ص٦٨.

Saunders, The History of the Mongol Conquests, p40.

خطراً جسيماً على الدولة الإسلامية. واستمرت دولتهم حتى سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) حينما قضى عليها السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه. كما كان من نتيجة هزيمة السلطان سنجر في تلك المعركة أن تجرأ عليه حكام الدولة الخوارزمية. ومنذ ذلك الوقت أخذ نجم السلاجقة يافل تدريجياً حتى تم سقوطها نهائياً على يد الخوارزمية (٥٩٠هـ/ ١١٩٤م)^(١).

تعتبر الفترة من النصف الثاني من القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري من أحلك فترات التاريخ الإسلامي بوجه عام وتاريخ مدن الصغد بوجه خاص لما يكتنفها من غموض وأحداث جسيمة هزت العالم الإسلامي، ففيها سقطت الدولة السلجوقية وانتهت سيادتها على بلاد ما وراء النهر ثم خضوع تلك البلاد لسيادة حكام وثنيين.

ظلت بلاد ما وراء النهر تغوص في بحر من الاضطرابات والنزاعات نتيجة للنزاع بين الحكام القراخانيين والقارغلية. ففي سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) قتل الأتراك القارغلية، طمغاج خان إبراهيم بن أرسلان خان محمد حاكم سمرقند وألقوه في الصحراء^(٢)، وخلفه جغرى خان جلال الدين على بن حسن تكين الذى عمل على إجلاء الأتراك القارغلية من سمرقند وبخارى إلى كاشغر، وإلزامهم الفلاحة، ومجانبة حمل السلاح، وذلك بناء على أوامر

(١) محمد بن المنور بن أبى سعيد بن طاهر: أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد، ص ٤٣١. حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، ص ٨٦. محمد عبد الباسط عبد الهادى محمد حسين: الشرق الإسلامى من ظهور السلاجقة حتى زوال الخلافة العباسية ببغداد، ص ١٢٧.

David Morgan, Medieval Persia, p47. Edgar Knobloch, Monuments of Central Asia,

p21.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٩، ص ٤٠١.

ملك الخطا سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، فامتنعوا واجتمعوا لحربه وسار الخان إلى بخارى وقطع دابره وأجلاهم عن نواحي سمرقند^(١).

سبق أن أشرنا أن الخطا أبقوا على القراخانيين فى حكم بلاد ما وراء النهر واكتفوا بأخذ الإتاوة منهم، ونصبوا شحنة من قبلهم فى بلاطهم^(٢)، ومنذ سيطرة الخطا على بلاد ما وراء النهر أصبحوا يجاورون ممالك الدولة الخوارزمية. وكان السلطان اتسز خوارزمشاه (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) يتجنبهم ويخشى الاحتكاك بهم، فقبل أن يدفع لهم إتاوة سنوية، حتى لا يتعرضوا له بسوء. وظل هذا الإجراء متبعا، برغم محاولات بعض سلاطين الخوارزمية للتخلص من تلك التبعية، لكن السلطان محمد خوارزمشاه أبى الاستمرار فى سياسة التبعية للملك الوثنى^(٣).

● إقليم الصفد فى ظل الخوارزميين

تنسب الدولة الخوارزمية إلى مؤسسها انوشتكين، وكان أحد سقاة بلاط السلطان ملكشاه^(٤) وأظهر كفاءة منقطعة النظير فكافأه السلطان ملكشاه

(١) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٢٦٣. ابن خلدون: العبر، مج ٤، ص ٤٧٦.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقوسى، ج ٢٢، ط ١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٤١ عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٣٣٤.

(٣) حمد الله مستوفى قزوینی: تاريخ كزیده، ص ١٩٦. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در ایران، جلد دوم، ص ٩١. فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ج ١، ص ٦٦.

Barthold, Four Studies on the History of Central Asia, vol.P30. Percy Sykes, A History of Persia, vol,2, P54.

(٤) حمد الله مستوفى قزوینی: المصدر نفسه، ص ١٧٦. ستانلى لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، بغداد، ١٩٦٨م، ص ١٦٦. طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م، ص ١٣٠. فؤاد عبد المعطى الصياد: المرجع نفسه، ص ٦١. مطلق بن البادى العتيبي: ملخص التاريخ الإسلامى، الدمام، ١٣٩٤، ص ٩٤.

وأعطاه خوارزم (٤٧٠هـ/١٠٧٧م)^(١). وخلفه ابنه محمد بن انوشتكين، وصار حاكما وواليا على خوارزم بأمر سنجر بن ملكشاه، وأطلق عليه اسم خوارزمشاه ولقب بقطب الدين وذلك سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٦م) وكان يبلغ في خدمة السلاجقة ومكث ثلاثين سنة واليا على خوارزم إلى أن مات (٥٢١هـ/١١٢٧م)، وصار منصبه من هذا الوقت فصاعدا وراثيا في أسرة قطب الدين محمد بن انوشتكين، فبداية تأسيس الأسرة الخوارزمية إذن هو عام (٤٩٠هـ/١٠٩٦م)^(٢)، ثم تولى اتسز بن محمد حكم خوارزم بعد والده بأمر السلطان سنجر، وكان أول من أظهر الميل إلى الاستقلال عن الدولة السلجوقية، ولكن ثورته التي أشعلها في (٥٣٣هـ/١١٣٨م) فشلت وقضى عليها السلطان سنجر، ولكنه عاود بعد ذلك الثورة واستطاع أن يمد نفوذه حتى "جند" الواقعة على نهر سيحون. ثم تولى بعده أبنائه وأحفاده حتى وصل الأمر إلى علاء الدين محمد خوارزمشاه الذي استولى على بلاد ما وراء النهر^(٣).

Saunders, The History of the Mongol Conquests, p40. Stanly Lane Poole, The Mohammadan Dynasties, p176

(١) عبد العظيم رضايي: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد سوم، ص ٩٤
 (٢) القرمانى: أخبار الدول وأثار الأول، ص ٢٧٥. باول هرن: تاريخ مختصر إيران، ص ٦٦. رياحى بور: اطلاعات عمومى براى استفاده عموم كرداورنده، ص ٦٥. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٣١٩. عبد العظيم رضايي: المرجع نفسه، ص ٩٥.

Saunders, OP.cit, p41. The Cambridge Medieval History, vol.4, Cambridge, 1936, p312
 (٣) القرمانى: أخبار الدول وأثار الأول، ص ٢٧٥. حمد الله المستوفى القزوينى: تاريخ كزيده، ص ١٧٨، ١٧٧. طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٣. مصطفى طه بلر: محنة الإسلام الكبرى، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥٦.

Stanly Lane Poole, The Mohammadan Dynasties, p176. Pope and Phyllis Ackerman, A Survey of Persian art, vol.1, p90.

تولى علاء الدين محمد خوارزمشاه العرش خلفا لأبيه علاء الدين تكش (٥٩٦ - ٦١٧هـ / ١١٩٩ - ١٢٢٠م) وسار على نهجه فى توسيع رقعة بلاده حتى بلغت أقصى اتساع لها فى عهده، رغم أنه ورث تركة ثقيلة للغاية، إذ كان عليه تقوية دولته فى الداخل ليستطيع مواجهة أعدائه فى الخارج الممثلين فى الدولة الغورية والخلافة العباسية والدولة القراخائية، واتخذ سياسة محدودة إزاء تلك الدول الثلاث، فكان عليه السيطرة بقوة جيوشه على الأولى، ومحاولة فرض نفوذه على الثانية، والتخلص من التبعية ودفع الضريبة السنوية للثالثة، والعمل على اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من الأراضى الإسلامية الواقعة تحت سيطرة القره خطائين^(١).

وترجع تبعية الخوارزميين لدولة القره خطائين إلى أكثر من نصف قرن عندما تمكنوا من الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، واستخلاصه لهم، وانفرادهم بإدارته بعد انتصارهم على السلطان سنجر كما سبق ذكره، وتبعية حكام تلك البلاد لكورخان، وتمكن السلطان اتسز خوارزمشاه عدو سنجر اللدود وحليف كورخان القره خطائى ان يستقل بحكم تلك البلاد على أن يدفع مقابل ذلك مبلغ ثلاثين ألف دينار ذهباً، وأن يقدم أيضاً ما يحتاجه كورخان من خيل وجنود، واستمر هذا الاتفاق سارى المفعول حتى عصر السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه^(٢). والخطة التى سار عليها السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه واستغرقت منه قرابة عشر سنوات، استطاع خلالها تقوية جيشه، وتصفية أعدائه ومناوئيه فى الداخل، وترقب الفرصة لتنفيذ سياسته تجاه القره خطائين إلى أن كان عام (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) الذى يعد بداية الصراع الفعلى بين الخوارزميين ودولة القره خطائين^(٣)، شجعه

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ الدولة المغولية فى إيران، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٤٠.

(٢) عبد السلام عبد العزيز فهمى: المرجع نفسه، ص ٤٠.

(٣) عبد السلام عبد العزيز فهمى: المرجع نفسه، ص ٤٠.

على انتهاج هذه السياسة ما كان يليه من عثمان خان حاكم سمرقند من رسائل تحضه على مهاجمة الخطا، وفيها تعهد صريح منه بأن يكون حليفاً أميناً لخوارزمشاه، وتابعا مخلصا له، وأن يدفع له الإتاوة التي كان يدفعها للملك الخطا، ويدعوا له على منابر سمرقند^(١) كما يتبين ذلك من هذه الرسالة: "إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة المال وكثرة الجنود أن تستنفذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتخلصهم مما ينجرى عليهم من التحكم في الأموال والابشار، ونحن نتفق معكم على محاربة الخطا، ونحمل إليك ما نحمله إليهم، ونذكر اسمك في الخطبة والسكة"^(٢).

وسرعان ما جاءت الفرصة للسلطان محمد خوارزمشاه ورفض دفع المبالغ المستحقة عليه، فاغتاظ الخطا من هذا التصرف وكان معنى هذا اشتعال الحرب بين الفريقين^(٣). وبالفعل تجهز خوارزمشاه لقتال الخطا سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وجمع عسكره وعبر نهر جيحون والتقى بالخطا وكانت

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٣، ص١٥. عطا ملك الجويني: تاريخ جهانكشاي، ترجمة محمد التونجي، مج١، دار الملاح للطباعة، ١٩٨٥، ص٣١٧. ميرخوند: روضة الصفا، القسم ٤، ص٧١١ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ص١٢٥. شرين بياني: دين ودولت در إيران عهد مغول، جلد أول، ص٧٠. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٣٣٥. عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٤١. فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٦٧.

Davidovich, The Karakhanids History of civilization of central Asia, vol.4, p134.

(٢) فؤاد عبد المعطي الصياد: المرجع نفسه، ج١، ص٦٧.

(٣) عطا ملك الجويني: المصدر نفسه، ص٣١٧. عبد السلام عبد العزيز فهمي: المرجع نفسه، ص٤١. عبد العظيم رضايي: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد٣، ص٧٧.

Percy Sykes, A History of Persia, vol.2, P54

ملحمة عظيمة، انهزم فيها الخطا وقتل منهم خلق كثير^(١). ثم قصد محمد خوارزمشاه بلاد ما وراء النهر فملكها مدينة مدينة وجعل نوابه فيها. وعاد إلى خوارزم ومعه سلطان سمرقند، فزوجه بابنته ورده إلى سمرقند، وبعث معه شحنة وعسكر فأقاموا بسمرقند^(٢) مدة، فرأى من سوء معاملتهم ما جعله يندم على مفارقتة للخطا فأرسل إلى ملك الخطا يدعوه إلى سمرقند ليسلمها إليه ويعود إلى طاعته، وأمر بقتل الخوارزميين فقتلوا عن آخرهم^(٣). ولما وصل الخبر إلى محمد خوارزمشاه غضب وأمر عساكره بالاستعداد للتوجه إلى بلاد ما وراء النهر، ونزل سمرقند وأرسل إلى حاكمها يقول له: "إنك

(١) الديار البكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج٢، بيروت، ص٣٦٧.
الغساني: المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق محمود شاکر، بيروت، ١٩٧٥، ص٣٢٧، ٣٢٨. الياقعي: مرآة الجنان، ج٤، ص٦. صبري سليم: الأتراك الخوارزميين في الشرق الأدنى الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٣.
نصرت الله حكيم: تاريخ إيران از تأسيس سلسله طاهريان تا حملة مغول، ص١١٣.

Edgar Knobloch, Beyond the Oxus, Archaeology Art and Architecture of Central Asia, Mohammadan Dynas- p30. Percy Sykes, OP.cit, vol,2,p54. Stanly Lane Poole, The ties, p176. Saunders, The History of the Mongol Conquests, p40.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٢٦٧، ٢٦٨. ابن خلدون: العبر، مج٥، ص١٢٦. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٣، ص٢٤.

Davidovich, The Karakhanids History of civilization of central Asia - vol.4.p135

(٣) الغساني: المسجد المسبوك و الجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ص٣٢٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٤٨. عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٣٣٦. شرين بياني: دين ودولت در ایران عهد مغول، جلد أول، ص٧٣.

Barthold, Four studies on the History of central Asia, vol.P32. Francis Henry Skrine and Ross, The Heart of Asia, p156. Saunders, The History of the Mongol Conquests.p42.

فعلت ما لم يفعله أحد، واستحلت دماء المسلمين فأخرج من البلاد" فلم يجب إلى ذلك فأمر السلطان عساكره بالزحف، فزحفوا وأخذوا البلد ونهبوها وقتلوا من وجدوه من أهل سمرقند خلال ثلاثة أيام . ويقال إن جملة القتلى مائتا ألف إنسان، وقتلوا حاكمها^(١).

جدير بالذكر أن السلطان محمد خوارزمشاه ارتكب خطأ فاحشاً عندما أزال دولة الخطا، فكان ملوك هذه الدولة يمثلون سداً منيعاً بين بلاد المسلمين وبين التتار، فحين قضى خوارزمشاه على هذه الدولة قضى بالتالي على هذا السد المنيع، وأصبح عاجزاً عن حماية هذه البلاد^(٢)، وكان الشرق الإسلامي إبان غزوات المغول في حالة شديدة من الضعف والتخاذل، تضمنه مناطق تسودها الفتن والدسائس، وتتنازعها الأهواء، ويسيطر عليها حكام متنازعون متباغضون^(٣).

(١) ابن خلدون: المصدر نفسه، مج ٥، ص ١٢٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ٢٢٥. الغساني: المصدر نفسه، ص ٣٢٨، ٣٢٩. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٥٨. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص ٧. عبد العظيم رضايي: تاريخ ده هزار ساله إيران، جلد ٣، ص ١٠٧. نصرت الله حكيم: تاريخ إيران از تأسيس سلسله طاهريان تا حملة مغول، ص ١١٤.

Bosworth, The New Islamic Dynasties, p113. Davidovich, OP.cit, vol.4, p135.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، تحقيق حسنين محمد ربيع، ج ٤، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٣٨. عباس إقبال: المرجع نفسه، ص ٣٤٩. فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ج ١، ص ٦١.

Francis Henry Skrine and Ross, OP.cit, p157. Gavin Hambly with Alexandre Bennigsen, Central Asia, London, 1969, p95.

(٣) فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ج ١، ص ٦١.

• الغزو المغولي لإقليم الصفد (١)

توجه جيش التتار بزعامة جنكيز خان نحو سمرقند سنة (٦١٧هـ/

(١) المغول قبائل بدوية تشبه الترك، والموطن الأصلي لهم يقع فى الهضبة الآسيوية من أطراف الصين فى وسط آسيا حيث صحراء جوبى، يحده شرقا الصينيون الخطا، وغربا الايغوريون الأتراك، وشمالا أرض تدعى سلفجاي، وجنوبا الهند. ويكثر المغول فى منغوليا الخارجية*. ويطلق المؤرخون العرب على المغول عموما اسم التاتار ولفظ التاتار يكتب إملاء فى اللغات الأوربية: تاتاروس، وهذا ناجم عن كونهم أرادوا من حيث الاشتقاق أن يربطوا بين هؤلاء القوم المرعبين وبين تاتاروس التى تعنى الجحيم فى علم الأساطير**. وكان التتار قبائل مستقلة عن المغول، ولكن من الغريب أنه على إثر انتصار جنكيزخان على التتار، أطلق اسمهم عليه وعلى أتباعه، وربما يعود سبب ذلك أن التتار استطاعوا أن يخضعوا أغلب القبائل، وكانوا يتمتعون بشهرة دائمة وشوكة كبيرة، بحيث إن قبائل الأتراك الأخرى على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم كانوا يتسمون باسمهم***. وفى بدء هجوم المغول على الممالك الإسلامية كانوا يعرفون بالتتار. كما أطلق عليهم أيضا اسم المغول. فاشتهروا فى التاريخ بهذين الاسمين****. ولا يعرف من أمر المغول شىء" إلى أن ظهر من بينهم بطل ذو أطماع وإرادة قوية، وحد من صفوف بنى جلدته ثم سار بهم إلى فتوحات واسعة بآسيا، وفى ركابه الخراب والدمار الذى أشاعه فى مهد الحضارة والمدنية التى اجتاحتها. ذلك هو تيموجين الذى اشتهر فيما بعد باسم جنكيزخان حين ظهر على مسرح التاريخ وهو فى الأربعين من عمره.*****

* ابن العبرى: تاريخ الزمان، ص ٢٣٥. محمد السيد غيطاش: دراسات وبحوث فى الآثار والحضارة الإسلامية، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٢١٨.

** براون: تاريخ الأدب فى إيران، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٢٩٨.

*** محمد عبد الباسط عبد الهادى محمد حسين: الشرق الإسلامى من ظهور السلاجقة حتى زوال الخلافة العباسية ببغداد، ص ١٤٣.

**** فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص ٢٧.

***** ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، جا، مكتبة الأسرة،

٢٠٠٤، ص ٢٦٨. أحمد محمود الساداتى: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها،

دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٩٢

١٢٢٠م) بعد ما تحققوا من عجز السلطان محمد خوارزمشاه، واستصحبوا أسرى بخارى معهم لإدخال الرعب فى قلوب أهالى سمرقند الذين انهارت معنوياتهم حينما سمعوا بالمصير الذى حل بأهالى بخارى^(١). وأحاطوا بسمرقند وفيها خمسون ألفا من العسكر الخوارزمية^(٢). فخرج إليهم عوام البلد، وأحجم العسكر الخوارزمى عن الخروج، وكان التناز قد أكمنا لهم، فلما حازت الرجال ذلك الكمين خرجوا عليهم وحاصروهم وقتلوهم عن آخرهم^(٣) فتفاقت مخاوف الجند الخوارزمية لهذا الانكسار الذى حل بأهل

Clive Irving, Crossroads of civilization 300 years of Persian History, London, 1979, p120. Edgar Knobloch, Beyond the Oxus, Archaeology art and Architecture of Central Asia, p30. Stanly Lane Poole, The Mohammadan Dynasties, p201. Savi Soucek, The Mongol Empire and its Legacy, Journal of Islamic Studies, vol.12, no.2, 2001, p211.

(١) ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، ج٨، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٢٥. الدوادارى: كنز الدرر وجامع الغرر، ص٢٤٢. عبد الجبار ناجى وآخرون: الدولة العربية الإسلامية فى العصر العباسى، ص٤٧٩. عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: معالم التاريخ الإسلامى، دار الفكر العربى، القاهرة، ص٣٢٧.

Bertold Spuler, History of the Mongols Translated by Helga and Stuart Drummond , London, 1972, p38. Wilfrid Blunt , The Golden Road to Samarkand p78.

(٢) ابن عربشاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تحقيق أيمن عبد الجبار البحيرى، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٥٥٢. الغسانى: المسجد المسبوك والجواهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك، ص٣٧٣. ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ج٤، ص٤٣. رينيه غروسيه: جنكيزخان، ترجمة خالد أيعد عيسى، ج١، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٩١.

(٣) ابن أبى الحديد: المصدر نفسه، ج٨، ص٢٢٥. ابن عربشاه: المصدر نفسه، ص٢٦٢، ٢٦١. عباس العزاوى: تاريخ العراق بين إحتلالين، ج١، مطبعة بغداد، ١٩٣٥، ص١١٦.

المدينة وطلبوا الأمان طمعا أن يسلموا من القتل لأنهم من نفس جنس المغول^(١).

على حين خرج قاضي المدينة ومعه كبار رجال الدين وطلبوا الأمان من جنكيزخان، ولما أجابهم إلى طلبهم فتحت المدينة أبوابها حيث دخلها المغول^(٢)، ونادوا في البلد: برئت الذمة ممن لم يخرج، ومن خرج فهو آمن، فخرج الناس ووضعوا فيهم السيف وعذبوا الأغنياء منهم واستصفوا أموالهم ودخلوا المدينة وعاثوا فيها فسادًا، فأحرقوا الجوامع ونقضوا دورها^(٣)، هكذا لم يعرف المغول للعهد حرمة، وسويت مدينة سمرقند العامرة وحصنها كذلك بالأرض وتركوها بلقعا ينشق الغراب في ربوعها^(٤).

(١) ابن واصل: المصدر نفسه، ج٤، ص٤٣. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ج٤، القاهرة، ١٩٨٣ - ١٩٨٤م، ص١٤٣. محمد الخضري: الدولة العباسية، تحقيق إبراهيم أمين محمد، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، ص٥٤٧.

David Ayalon, *Outsiders in the Lands of Islam Mamluks, Mongols and Eunuchs*, London, 1988, p148.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٦٤. الكاشي: مفتاح الحساب، ص١٥. ميرخواند: روضة الصفا، ج٤، ص٨٤٦. عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٦٣. عبد الله رازي: تاريخ كامل إيران، ص٣٠٩.

Wilfrid Blunt, Op.cit, p79.

(٣) ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج١، ص٢٥٨. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٣٥، ٢٣٤. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، مج ٥، ج١، ١٩٧٠، ص٢١٢. ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ص٢٤٣. ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص٤٤. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج١، ص١١٧.

(٤) خواندمير: تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جلد سوم، ص٣١. القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص٢٨٦.

تحول الناس بين حريق وغريق وميت تحت الأنقاض وحل بالمدينة والقلعة الخراب والدمار وتجرع الناس كؤوس الهلاك، واستثنوا من ذلك القاضي وشيخ الإسلام ومن احتموا بهما، وقدروا بنيف وخمسين ألفا من الخلق. وهذا الكلام لا يخلوا من المبالغة، ومع ذلك فهو يدل على ما كان عليه رجال الدين في ذلك الوقت من سلبية وتخاذل عن الدفاع عن بلادهم ضد الغاصبين^(١).

هكذا تمكن جنكيزخان من الإجهاز على إقليم ما وراء النهر برمته دفعة واحدة، وهو الإقليم الذى اتخذهُ الخوارزميون مركزاً للدفاع عن دولتهم، وركزوا فيه كل جيوشهم وجهودهم، وبسقوطه لم يعد هناك حائل بين المغول وبين الاستيلاء على الأقاليم الباقية من الدولة الخوارزمية^(٢).

يعتبر العصر المغولى واحداً من أكثر العصور التاريخية إثارة وفزعا، وأسبغها جذبا لأنظار المؤرخين. ولاشك أن حملات المغول المدمرة على مراكز الحضارة تمثل فترة هامة فى تاريخ البشرية. ففى خلال عدد محصور من السنين، أصبحت آسيا كلها تقريبا تحت إمرة هؤلاء الفاتحين المرهوبى الجانب^(٣).

Beatrice Manz, Central Asia in Historical Perspective, U.S.A, 1995, P28. Bietrich Brandenburg, Samarkand, p16. Bretschneider, Medieval Researches, vol.1, p279. Donald Wilber, The Architecture of Islamic Iran the Ilkhanid Period, U.S.A, 1955, P3. Gavin Hambly, Central Asia, p96. John Lawton, Travel to Landmarks Samarkand and Bukhara, p42.

(١) عطا ملك الجوينى: تاريخ جهانكشاي، مج ١، ص ١٣٠. ميرخواند: روضة الصفا، ج ٥، ص ٨٤٦ عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ الدولة المغولية فى إيران، ص ٦٣. عباس العزاوى: المرجع نفسه، ج ١، ص ١١٨.

(٢) خواندمير: المصدر نفسه، جلد سوم، ص ٣١. النسوى: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، ص ١٤، ١٢. عبد السلام عبد العزيز فهمى: المرجع نفسه، ص ٦٤.

(٣) فؤاد عبد المعطى الصياد: الشرق الإسلامى فى عهد الايلخانيين أسرة هولوكو، الدوحة، ١٩٨٧، ص ١١.

حقا كان المغول يحملون راية الدمار ويعلمون مبادئ الخراب ويشعلون النيران فى كل معلم من معالم العمران وكل اثر من أثار الحضارة، فطويت بذلك صفحات من تاريخ العلم والمعرفة والثقافة والحضارة فى مدن الصغد خلال تعرضها للسلب والنهب وتركها للرمال التى تذرؤها الرياح، ودمرت المدارس والمكتبات وتشنت الدارسون ورجال العلم .

هكذا انطلقت قوات التتار فى تيارات مدمرة عاتية تجتاح بلاد ما وراء النهر ومدنه الزاهرة ومراكز الحضارة والثقافة بها، تستسلم لهم مدينة فيعفون أهلها من القتل ليسترقونهم، وتدافع أخرى عن حياضها، فيقتلون سكانها جميعا بعد اقتحامها، لا يستنون فى ذلك كهلا أو امرأة أو شيخا اللهم إلا أصحاب الحرف والصنائع، إذ كانوا يبقون عليهم ليقوموا على خدمتهم وينهضوا بتعمير منازلهم ومدنهم فى بلاد المغول. وهم فى جميع الأحوال ينزلون الخراب والدمار بكل بلد يحلون به، ويتتهبون كل ما به من مؤن أو متاع^(١).

(١) أحمد محمود الساداتى: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، ص ١٩٣.